

١١

حصار

١

تفسير قاضي

[انوار التنزيل]

١٥١

1

المفتقر الى الملك العزيز عبده الحاج ... بن ...
... وعفا عنهما ...

سعید زیور ادرنوی وقفیدر

انوار التنزيل واسرار التأويل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى نزل القران على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العربا فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو فى الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازى غناءه وتجازى عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه الا من برع فى العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق فى الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطال ما احدث نفسى بان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوى على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلى من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراآت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام ويمنعنى عن الانتصاب فى هذا المقام حتى سنح لى بعد الاستخارة ما صمم به عزمى على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اوسمه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطى كل سول سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشاؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء او على ما فيها من الثناء على الله

والتعبد بامره ونهيه وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هى شفاء لكل داء والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى فى الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعى وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعى ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله فيه بشىء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله عم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها اختلف فى انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القران حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذى يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما فى بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عم كل امر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخلت عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمى وسمى ومجىء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم

3

وسُمّ قال باسم الذي في كل سورة سِمُه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة
غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان
اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكن لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه
ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها من الرفث وسوء الادب او الاسم فيه
مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري
انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله
ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف
على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض
عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم
غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل
من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن
بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ
يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه
في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة
عليها استثقال الضمة في وجوه وقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة قيل اصله
لاه مصدر لاه يليه ليها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شئ وعما
لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يشهدها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة
لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان
وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله
لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء
الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر
آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص
لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين
مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية
فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا
وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر ألا بارك الله في

ولا

4

ألا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان
من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه
الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع
وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم
المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص بالمؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم
الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي
الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم
الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه
يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل رقة الجنسية او حب المال من القلب ثم انه كالواسطة
في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع
بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل
على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة
على رؤس الآي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلانة او فعلى
الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به
في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه
بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره
الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا
تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر
مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على
مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام
الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه وهو
من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه

بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه عز وجل حي قادر مريد عالم
اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله بالكسر باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا
لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية
وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من
ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى
الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع تعالى وهو كل ما سواه سبحانه وتعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر
واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم
فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على
سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على
نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع جل جلاله كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك
سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح
او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن
الرحيم كرره تعليلا على ما سنذكره مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده
قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل
الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف
يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق
سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع
كقولهم يا سارق الليلة ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له
الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم او
لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما
عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة

للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف
يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لا يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان
يحمد فضلا ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد
والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات
او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه
مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد
واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات
وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان اول الكلام
على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال
بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل
المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر
ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل
من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله
والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي
ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود
واياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب
والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها
واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد
عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها
ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية
ما لا ياتي الفعل بدونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها
يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل

كالراحلة في السفر للقادر على المشي او بقرب الفاعل الى الفعل وتحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف
عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين
للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف
عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول
للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو
مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى
العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظته له ومنتسبة اليه ولذلك فضل
ما حكى الله عن حبيبه لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين
وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس
الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة
الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على
ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك
مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى
الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال
كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل
في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهداية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل
منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية
الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن
المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب
الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب
واياها عنى بقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع
ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم
يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول
المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات
احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا
ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه
فكأنه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء
في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس
عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه
سرط ككتب وهو كالطريق الحق وقيل ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول
بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد و التنصيص على
ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان
له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين
انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عم قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت
عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما
يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق
البدن والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل
وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة
وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا
ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** بدل من الذين
او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك
انما يصح باحد التأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد
امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لأمر على مثلك فيكرمني وجعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله
ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور
على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان
وبين السلامة من الغضب والضلال

والعامل النعت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسّر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس
ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تع أريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم محله الرفع لانه نائب
مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم
ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب
وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تع فيهم من لعنه الله وغضب عليه
ولا الضالين النصارى لقوله تع قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا الآية وقد روي مرفوعا
ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين
معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل
بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تع في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل
ضال لقوله تع فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمز على لغة من جد في الهرب من
التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رض سألت النبي عم
عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها ويرحم الله
عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن اتفاقا لكن يسن ختم
السورة به لقوله عم علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي
معناه قول علي رض آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية
لما روي عن وائل بن حجر انه عم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رح
انه لا يقوله والمشهور انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عم اذا
قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة
غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رض ان رسول الله عم قال لأبيّ الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية
والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن
العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رض قال بينا رسول الله عم اذ اتاه ملك فقال ابشر
بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما
الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان رض ان النبي عم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب فيسمعه الله تع فيرفع عنهم بذلك العذاب

٥

اربعين سنة سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ
التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي يتركب منها الكلام لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من
التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي رح وما روى ابن مسعود رض
انه عم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف
حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف متجدد بل
المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت
بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها
وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية من الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة
له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة
اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تتركب منها افتتحت السورة
بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان
من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع
الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي
الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه
الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف
المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على
انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها
الهاء والحاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة
الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها خمس
على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن
القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء
لانه اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء
والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احدى

عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في بابسك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والياء والميم والحاء والغين والضاد والظاء والشين والواو والزاء والفاء نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتركيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى خمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحروف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف من وان ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلث عشرة عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن العظيم لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي اسماء للسور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم مع الزنجي بالعربية ولم يكن القرآن العظيم بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها

او غير ذلك

او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلامهم واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن نزل من الله بلسان جبريل على محمد عليه السلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله عليه السلام فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم واما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريق بعلبك واما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق

واوفق للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران العظيم ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها
اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رض كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف
من اقصى الحلق وهو مبداء المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو اخرها جمع بينها
ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انها سر استاثر الله عز وجل
بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة رض ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى
ورسوله عم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران
العظيم او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على
طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا او الحكاية
فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره
مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء
او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن
فتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها
محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج
الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم
ويس وحم اية وحم عسق ايتان والباقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب**
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل
من المرسل الى المرسل اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته
او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول
كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة
لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب فيه العاقل بعد النظر الصحيح في كونه
وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
الاية فانه ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها
غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب
فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر

رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان
لنوايبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة
وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين
لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار
قال تعالى هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر
في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة
واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا
يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من
قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله
ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع
وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق جل جلاله
ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقد فسر التقوى
ههنا على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية الكريمة يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتداء على انه اسم القران
العظيم او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص
لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة
والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتداء محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب
في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها
ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى
لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين ساير الكتب كما قصد ثمه او صفته وللمتقين خبره
وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه
لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتداء والكتاب خبره على معنى انه الكتاب
الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل
متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو
المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد

بنفي الريب فيه

على الحال انه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما تقرر له مبتداء رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم حوله الشك حولا وتستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل والمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى من ربهم فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن فكان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يجي بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان الى القلب وقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا

ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غايبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به وعن ابن مسعود رضه قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة **ويقيمون الصلوة** يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كان كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه

بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكّن من الحرام لانه منع الانتفاع
به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون
الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما
انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم
لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن
قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل لك من حلاله وبانه لو لم يكن
رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دال على
الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسّر
بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول
للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل
ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما
لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه معطوفون
على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذا المراد باولئك
الذين آمنوا عن الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم
الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل
جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر
الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم
مخصصين عن الجملة كذكر جبريل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى
الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة اما ولعل نزول الكتب الالهية على
الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول
فيلقيه عليه والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان

وان كان انزل من بعد مرة بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع
ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا
حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين
وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على
كل واحد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا
عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم
في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره ودوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم
تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان
واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لم يوصف به علم الباري ولا العلوم
الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع
انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها
مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما
قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستيناف
لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات
اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة
الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب
الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه
بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك
انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر
هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة
بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء
بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي
كل واحدة من الاثرتين وان كلا كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا
بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء
واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء

والجيم الفايز بالمطلوب كالذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق
وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم
المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تامل كيف
نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل
مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب لاقتفاء اثرهم وقد تشبثت
به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه
عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليايه
بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة والمردة الذين لا ينفعهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات
والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المومنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في
الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال
وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي
خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه
فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية
للرفع للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان
وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر
بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسلونك عن الروح وعن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قايم
اخبار عن قيامه وان عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه
وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود
او للجنس متناولا لمن صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم
بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب
فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في نفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ
الماضي على حدوثه لاستدعايه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث
الكلام كما في العلم **سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم** خبران سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر
قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان
الذين كفروا مستو انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما

امتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد اللفظ او مطلق الحدوث المدلول
عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل هاهنا من المصدر الى الفعل لما فيه
من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث
ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين
وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يودي الى جمع الساكنين على غير
حده وبتوسط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء
حركتها على الساكن قبلها **لا يومنون** جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال
موكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف
ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يومنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم
الايمان بانهم لا يومنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام
لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه
كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفايدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة
الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من
المعجزات **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق وبيان ما
يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه
آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه وبنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة و
العمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب
الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق
منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين
كانما غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
المووفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع

قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء في وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلق الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم كقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك في جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة

١١

الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعا ومنصوبا وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس وهو غشاء التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة فيه يراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر الجامع بينهما تحت هذا الجنس فان الاجناس انما يتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر

تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه
وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق فان القوم كانوا
يهوداً وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايماناً كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة
لا يدخلها غيرهم وان النار لا تمسهم الا اياماً معدودة وغيرها ويرون المؤمنين بانهم آمنوا مثل
ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم لم يكن ايماناً كيف وقد قالوه تمويهاً على المسلمين وتهكماً بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان
بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال للمعنى المعقول والمعنى المتصور
في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازاً والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى
ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين** انكار ما ادعوه ونفي
ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس
تأكيداً او مبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان
فلذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به
لانه جوابه والآية الكريمة تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً
لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه وينافيه لم يكن مؤمناً والخلاف مع الكرامية في
الثاني فلا ينتهض حجة عليهم **يخادعون الله والذين آمنوا** الخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه
من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع اذا اوهم
الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين
في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولانهم
لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملتهم الرسول عليه السلام
معاملة الله من حيث انه عليه السلام خليفته تعالى كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله
معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده تعالى اخبث الكفار وفي الدرك الاسفل من النار استدراجاً
لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين امر الله تعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم
بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى

مع غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك وبعضده قراءة من قرأ
يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يتطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم
ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى
منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخدعون الا انفسهم** قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو
والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم
انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخادعون
لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون
ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح
لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط احتياجها اليه وللرأي
في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتاً تأمره وتشير عليه فالمراد بالنفس ههنا ذواتهم
ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم **وما يشعرون** لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع
ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان
حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** المرض حقيقة فيما يعرض البدن
فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها
كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية
الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملها فان قلوبهم كانت متألمة تحرقاً على ما فات عنهم
من الرياسة وحسداً على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوماً فيوماً وزاد الله تعالى
غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام
ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة
الى الله تعالى من حيث انه من فعله تعالى واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجساً لكونها سبباً ويحتمل ان يراد
بالمرض ما داخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة
وقذف الرعب وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله عليه السلام نصرة على الاعداء وتبسطاً في البلاد **ولهم عذاب
اليم** اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون** قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله
جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه السلام في قلوبهم واذا خلوا
الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى

شططا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء بخلاف ما هو به وهو حرام
كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابرهيم عم كذب ثلث كذبات فالمراد
التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** عطف على يكذبون
او على يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط
بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الدواب والحرث
ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج
ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المومنين **قالوا انما نحن مصلحون** جواب لاذا
ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا
متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق
زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين
له سوء عمله فراه حسنا **الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف
به وتصديره بحرفي التاكيد المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت
على النفي افاد تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به
القسم واختها اما التي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم
انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين والاستدراك بلا يشعرون **واذا قيل لهم آمنوا** من تمام النصح
والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان
بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا **كما آمن الناس** في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها
في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه
لما يستجمع المعاني المخصوصة والمقصودة ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب
قوله صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن
معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق
مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد **قالوا
انومن كما آمن السفهاء** الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المومنين كانوا فقراء ومنهم موال

دبوری گردن

موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم تقابله **الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**
رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة
من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وينفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي
قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر
الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما صدرت
به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم
نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف اردّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال
مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال
لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى **واذا
خلوا الى شياطينهم** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا
الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم
وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن
واخرى زايدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل **قالوا انا معكم** اي في الدين والاعتقاد خاطبوا
المومنين بالجملة الفعلية الموكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم
على ما كانوا عليه ولانهم لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المومنين ولا توقع رواج
ادعاء الكمال في الايمان على المومنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما نحن مستهزءون**
تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر
او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المومنين او
تدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزات بمعنى واصله
الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف
الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما

لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او ترجع وبال الاستهزاء عليهم فيكونون كالمستهزى بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزى اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يوبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المومنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه والتقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتري واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على

الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياوه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل

من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن اللبس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة عقاب السرمد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله شعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة

في

في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة وسمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها للدلالة على اتصافهم بالاحكام السابقة لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانه تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بافاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه ولكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذكر فاجيب بها

وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون

كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هايل معها نار لا تمر بشىء الا اتت عليه من الصعق

وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هايل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة

اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق

لاستواء كلا البنائين فى التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة

وهى فى الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الرواية او مصدر كالعافية

والكاذبة حذر الموت نصب على العلة بقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما

والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة

والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والجملة اعتراضية

لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق

وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لوجود

مانع وعسى موضوعة لرجايه فهى خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون

فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل

عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما فى اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ

بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت فى الطاء

ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم

قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون فى تارتى خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء

اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى

مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول

ابى تمام هما اظلما حالى ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه

من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام

اذا لانهم حراص على المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه

قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اى لو شاء

الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة

الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه فى شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا فى الشىء المستغرب كقوله ولو شئت ان

ابكى دما لبكيته ولو من حروف الشروط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثانى ضرورة انتفاء الملزوم

الملزوم عند انتفاء اللازم وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة و

وفايدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير

الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشيته تع وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته ان الله

على كل شىء قدير كالتصريح والتقرير له والشىء يختص بالموجود لانه فى الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى

شاء تارة وحينئذ يتناول البارى تع كما قال قل اى شىء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشىء وجوده وما

شاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة وعليه قوله ان الله على كل شىء قدير الله خالق كل شىء فهما

على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشىء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح

ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل والقدرة هو

التمكن من ايجاد الشىء وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل

بناء على ما يشاء ولذلك لم يوصف غير البارى تع واشتقاق القدير من القدر لان القادر يوقع الفعل على

مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه

مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله لانه شىء وكل شىء مقدور له والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات

المولفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها

كقوله تع مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود فى جهلهم بما معهم من التورية

بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منها تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد

من طفئت ناره بعد ايقاده فى ظلمة او بحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف

وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ الاشياء فرادى فتشبهها بامثالها

كقوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب

الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه ذوات المنافقين بالمستوقدين

واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك

باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم فى

فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسهم باصحاب الصيب

وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا فى نفسه لكنه لما وجد

فى هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة

بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم

من المضارّ وتحيّرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة
مع خوف ان تخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل
شبّه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به
حيوة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما
فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامّهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله
الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيّرهم
وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ
العاجلة وسدّوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها
الناس اعبدوا ربكم لما عدّد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب
على سبيل الالتفات هزًّا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة
بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول
الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة
الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل وايّ جعل وصلة الى نداء المعرّف باللام
فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري
عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا
وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد
وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم
عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل
عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شائع ذائع فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عم صلى الله عليه وسلم
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن
علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار وامرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب

فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان
من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع
وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها
وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم
والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب
الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال
خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول لكل ما يتقدم الانسان
بالذات او بالزمان معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم
اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني
بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما
اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا
في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى
درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من
مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره
باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم
جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو
ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها
لما وجبت عليه شكرا لما عدّده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل
لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع بانه مبتدأ خبره فلا تجعلوا لله وجعل
من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص
بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور وبمعنى صيّر فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل

تارة وبالعقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهيأة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوطة وذلك لا يستدعي كونها سطحية لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة تتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس في ايجادها دفعة من الاول للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدي من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر ومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو السماء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ولاجعل كلا المرزوق او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله مع لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه فلا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى

والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله تعالى اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريق التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق والحم من طولب لمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعادة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب

الوقايع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة
واضافة العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد
محمدا وامته والسورة الطايفة من القرآن المترجمة التى اقلها ثلاث آيات وهى ان جعلت واوها
اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطايفة من القرآن مفرزة محوزة على حالها او محتوية
على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او السورة التى هى الرتبة قال ولرهط حراب
وقد سورة فى المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارى او لها
مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة
فمن السورة التى هى البقية او القطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع القرآن سورا افراد الانواع
وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارى وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم
سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه
اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطايفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك
من الفوايد من مثله صفة سورة اى بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين
وزايدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة
كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد
والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير آيات التحدى ولان الكلام
فيه لا فى المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا
بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم لياتى بنحو ما اتى به هذا آخر
مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تع قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمى به لانه يحضر النوادى ويبرم
بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد
لانه حضر ما كان يرجوه او الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب
لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد
دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد وتخطى امر الى آخر

١٩

الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين
الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا
يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم
وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر ان ياتى بمثله الا الله او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون
لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم
الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين
يدى الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهى دونه ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا
بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اى من دون اوليايه
يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اوتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد
بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تع كذب
المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان
الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى
وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول عم وما جاء به وميز لهم الحق
عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان
بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب
فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل
الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التى
للشك والحال تقتضى اذا الذى للوجوب فان القايل تع لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا
بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم
وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة العمل مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت
كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن
كلا فى نفى المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى
الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم
المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم

بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها حيث تتقد بما لا تتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضه فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك كحجارة الكبريت لساير النيران ولما كانت الاية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الان **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ** عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم

ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عم لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله تعالى لم يقيد ههنا استغناء بها **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار

المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجارى
انفسها واسناد الجرى اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذى رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات او خبر مبتداء محذوف او جملة مستانفة كانه
لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس أخر فازيح بذلك
وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل
الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتديا من الجنات مبتديا من ثمرة فقيد الرزق بكونه مبتديا
من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره
المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع
ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعنى به العين المشاهدة منه بل النوع
المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذى ولكن لما استحكم
الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر
الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مايلة الى المالوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزية كنه النعمة
منه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن
ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم
مختلف او كما روي انه عم قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة
الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على
عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا
من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك
والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل
التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رض ليس في الجنة
من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التى هي مناط الاسم دون المقدار والطعم
وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا
في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا

رزقنا الله ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله
ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض
والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ
مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل واذا العذارى
بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة
بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان
قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفايدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت
انما تشارك نظايرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل
ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد فايدتها وهم فيها خالدون دايمون
والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء
الذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله
خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام هاهنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان
قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة بالكيفية معرضة للاستحالات المودية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها
مثلا متفاوتة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها
من بعض كما تشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهد من نقص العقل
وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل
عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت
منغصة غير صافية من شوايب الالم بشر المومنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة باتم ما يستلذ به منها وازال
عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو
ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل

الى ايصاله الى الكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل
ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة
ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير
كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدور بالنخالة والقلوب القاسية
بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض
لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بالمستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام
في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان
يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل
ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال
ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض
النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل
الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها
عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وخشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى
كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن
بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان
يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر
وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما
ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان
او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل
ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح
فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه
معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتداء وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة حذف صدر
صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين

على الوجهين واستفهامية هي المبتداء كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة
فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار
وما ديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش
فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه
قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي
جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عم ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي
ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رض سمعت رسول الله عم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما
فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها
في القلة كنخبة النملة لقوله عم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين
آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل ويوكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك
يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة
وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا
الخبر وعوضوا المبتداء عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم وذم
بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم
النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل
قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في
جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السوال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل
بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبداء النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير
متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال
غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه
يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا
الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال

كقوله عليه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب ماذا اي اضلال كثير وهداي كثير
وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان
العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد
وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا او قال ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين** اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى
ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد
وقال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله
درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها
غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع
ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا منزلتي المؤمن والكافر
لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم
للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم
عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ
يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق
والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له
الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد
كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه
وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه
لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ
وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق
رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين

اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على
النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه**
الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله تعالى به عهده من الايات والكتب او ما
وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ان يكون كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن
موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر
ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل فصل ووصل
والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية
للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده
وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون
في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه **اولئك هم
الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن
في الايات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على
الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك
انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من أتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا
لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية
خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا
ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم** بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفاء لانه متصل بما
عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند تقضي آجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او السؤال
في القبور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب
كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون
قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على

يدل على صحتهما وهو انه تع لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته
او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دليل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان
عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم
النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال الله تع وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة
مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة
من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة
عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان
ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية
لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت
بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تع قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تع اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
وقال تع او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تع اريد بها صحة
اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب
ترجعون بفتح التاء في جميع القران **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى
فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط وامر دينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف بما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد اليها
بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء
واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من
خواص

لعقل وام

٢٤

خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او
جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من
الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تع والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض
المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا
اخر دل عليه أأنتم اشد خلقا ام السماء مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسويهن**
عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى
الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل او تفسير فان قيل اليس ان
اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع
انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو بكل شيء عليم** فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء
كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب و
الترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور
الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها
واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها
ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تع وهو بكل شيء عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث
مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار
الى البرهان عليها بقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت
والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه
تع عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تع قادر على ابدائهم وابداء
ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا
محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجتهم وذلك دليل على تناهي علمه عز وجل و
كمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو
تشبيها له بعضد **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة** تعداد لنعمة ثالثة تعم

الناس كلهم فان خلق آدم صلوات الله عليه وسلامه واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود انعام يعم
ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه
اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل و
المجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرنا واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر
على التأويل المذكور لانه جاء معمولا صريحا في القرآن العظيم او مضمر دل عليه مضمون الآية الكريمة المتقدمة مثل وبدأ
خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك
على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم
صلوات الله عليهم وسلامه وسائط بين الله وبين الناس وهم رسل الله تعالى او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم عليهم الصلوة والسلام بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب
اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم كانوا يرونهم عليهم الصلوة والسلام كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس
الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق جل جلاله والتنزه عن الاشتغال بغيره عز وعلا
كما وصفهم في محكم تنزيله الكريم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون
وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم صلوات الله وسلامه عليهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصير
اثبته في كتاب الطوالع والمقول عليهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل بملائكة الارض عليهم
السلام وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث
ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف
غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
استخلفهم الله تعالى في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره تعالى فيهم لا لحاجة به

تعالى الى من

تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه تعالى وتلقي امره تعالى بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا
كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء صلوات الله عليهم لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة صلوات الله عليهم ومن كان
منهم اعلى رتبة كلمه تعالى بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة
ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته جلت قدرته بينهما الغضروف
المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك وخليفة من سكن الارض قبلا وهو وذريته لانهم يخلفون من
قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة
في قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلفكم او خلقا يخلف وفائدة قوله عز من قائل هذا للملائكة تعليم المشاورة
وتعظيم شأن المجعول بان بشر تعالى بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح
على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر
القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما
خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم
معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان
يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار
من الله تعالى او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد
الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب والسفك يقال في الدم
والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها
وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا
او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق القديم المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة
ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على
الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث

قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة
والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة
ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة
تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة
على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد
كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي
هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله **قال انى اعلم ما لا تعلمون** والتسبيح تبعيد الله
تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس
اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اى متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن
الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم
الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة **وعلم آدم الاسماء كلها** اما بخلق
علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم
غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى
الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عم ان الله تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها
آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من
الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة
للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى
سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن
باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة
متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع
المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها
واسمائها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير فيه للمسميات

المدلول

الاسوة بالفتحة والضم [illegible] لغة وحلقة [illegible] ومقتدى [illegible] القدس

المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام
كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض
نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب
ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها **فقال انبئوني باسماء
هؤلاء** تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة
والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف
بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما **ان كنتم صادقين** في زعمكم انكم احقاء
بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم فبينوا وهو وان لم يصرحوا
به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه لغرض ما يلزم مدلوله
من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات **قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف بالعجز و
القصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعات للادب بتفويض
العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري
علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتقدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار
والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عم سبحانك تبت اليك وقال يونس عم
سبحانك اني كنت من الظالمين **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** المحكم لمبدعاته
الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم
تجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ
خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا آدم انبئهم باسمائهم** اى اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها
بكسر الهاء فيهما **فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض و
اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** استحضار لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون
كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة
والباطنة علم ما لا تعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان

يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة
وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة
للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان و
مزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تع
وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع (لا الاصطلاحية)
والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم ام فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على
مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا قوله تع وما منا الا له مقام معلوم وان آدم ام افضل
من هولاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تع قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون وانه تع يعلم الاشياء قبل حدوثها **وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم** لما انبأهم بالاسماء وعلمهم
ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه (تعليمه اياهم ما لم يعلموا) وقيل امرهم به قبل ان يسوي
خلقه لقوله تع فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله و
العاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة
بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن
قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ راسه و
في الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تع و
جعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تع لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات
كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء
ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود
تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تع اقم الصلوة لدلوك
الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد

بالسعي

٢٧

بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم
او طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا من
ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه
والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا
بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر قوله انا خير منه
جوابا لقوله تع ما منعك ان لا تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من
وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تع
الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضي
روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة
ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن
كانوا ايضا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون
بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين
وكانه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان
الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة
لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس و
الجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله
والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وجل الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا
يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها
انه عم قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجان من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان
المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما
يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت (اي رجعت)

الحالة الاولى جذعة ولا يزال يتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف فهذا اشبه بالصواب واوفق
للجمع بين النصوص والعلم عند الله تع ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر و
الحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله تعالى من حاله انه
يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافات المنسوبة
الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رح وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من
السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما
اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا
معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان في ارض فلسطين او بين فارس وكرمان
خلقه الله تع امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تع اهبطوا مصرا وكلا
منها رغدا اي اكلا رغدا واسعا فهما صفت مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من
الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين
اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي
بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب
من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي
حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا
من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي وبنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان
الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة
او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر القاف وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك

اوالقاه

اي اكلا رغدا واسعا

٢٨

او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل
انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا
وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية
حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من
الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا لقوله تع قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير
لانهما اصلا الانس وكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة
او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى
متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار
ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ
والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته
وهي قوله تع ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله
الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو
التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان
لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن و
السنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تع اريد بها الرجوع
من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان
مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم
الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى
نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم

ان يعو

ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تع فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى
نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى
وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا **فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع**
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما
مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان
يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جئ بحرف الشك واتيان الهدى
كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول
وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف
عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع
والحزن على الواقع نفى عنهم العذاب واسهم اثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ
هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار**
هم فيها خالدون عطف على من تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا
بآياته وكفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور
والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين
ايا من اي او من اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية
او ايية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة
او ما يعمها والمعقولة **تنبيه** وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء
عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب
له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تع الا لعنة الله على الظالمين و
الثالث انه تع اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تع لقنه التوبة
وهي الرجوع عن الذنب والندم والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تع اياه بقوله وان لم

تغفرلنا

تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر
عليه ما جرى **والجواب** من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان
النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي و
العصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تع وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه
وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا
لقوله تع فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط
عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول
السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تع ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على
انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة
لحكم الله تع الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عم اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا
فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان
المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور
امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على
ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان
عذاب النار دائم وان الكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تع هم فيها خالدون و
اعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا
لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له
ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها
اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم
من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم
ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد عم وما انزل
عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع

تقديره هو الذي خلق لكم الآية

الصانعة فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وقيل وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور
حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم
به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي
باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها واوفوا
بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تع عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء
منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تع حقن الدماء والمال واخرها منا الاستغراق في
بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن
ابن عباس رض اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلعم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا
باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم
اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما
عاهدتموني بالايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تع
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري وقرئ اوفِّ بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من
اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط
كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة
على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تع وامنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد
المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق

الاصار جمع اصر وهو الثقل

لها

٣

لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن
المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح
من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل
المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي
تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب
ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به و
المبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل
واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم
مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او
ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او
مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا
غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا فادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت
عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا
عليها لو اتبعوا رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي
فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو
كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم
والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي
هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها
بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله ولا تكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي
كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم
يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه

في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه
من كتمان الحق **وانتم تعلمون** عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **واقيموا الصلوة**
واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام
بعد امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها
يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او الزكا بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس
من البخل **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين
درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع
يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تع وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب
وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رض انها نزلت في احبار المدينة
كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد عم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك
البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة
عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن
ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء
صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه
شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم لا منع الفاسق
عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر **واستعينوا بالصبر و**
الصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال
عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر
عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها
جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه

الى الكعبة

الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان
ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل
المآرب وجبر المصائب روي انه عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي
ان الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من
الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على**
الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين و
الانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم**
وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله
فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه
لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف
جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر
لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عم وجعلت قرة عيني في الصلوة **يا بني اسرائيل**
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد
الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم** عطف على نعمتي **على العالمين** اي عالمي زمانهم
يريد به تفضيل اباءهم الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله تع من العلم والايمان
والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف
واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق
او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا
وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه
ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول ثم حذف كما حذف
من قوله او مال اصابوا **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اي من النفس الثانية العاصية
او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره
والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي

عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من آل فرعون** تفصيل لما اجمله فى قوله تع اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفى ذلكم بلاء** محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم فيه او بهما **عظيم** صفة بلاء وفى الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تع فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه

مسالك

العمالقة هم الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد وهم اولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح

مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم واغرقنا آل فرعون** اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه **وانتم تنظرون** ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تع امر موسى عم ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تع اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله تع فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين **واعلم** ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بنى اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع من امة محمد صلعم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدى والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد عم دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عم من جملة معجزاته على ما مر تقريره **واذ وعدنا موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تع موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تع وعده الوحى ووعده موسى المجئ للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل** الها ومعبودا **من بعده** من بعد موسى اى مضيه **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد ذلك** اى الاتخاذ **لعلكم تشكرون** لكى تشكروا عفوه **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تع يوم الفرقان يريد يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكى تهتدوا بتدبر الكتاب

والتفكر في الآيات **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**
فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريًا من التفاوت ومميزًا بعضها عن بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ
المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا
فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل
العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت
السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية
فَتَابَ عَلَيْكُمْ متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فتاب
او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم
ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة
حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق
بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** الذي يكثر توفيق
التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ**
لاجل قولك او لن نقر لك **حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** عيانا وهي في الاصل مصدر لقولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة
بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى
للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي
فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته
رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية
وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم

وقيل

وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** اي ما اصابكم
بنفسه او اثره **ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ** بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم
كقوله تعالى ثم بعثناهم **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة **وَظَلَّلْنَا
عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ** سخر الله تعالى لهم السحاب يظللهم من الشمس حين كانوا في التيه **وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ
وَالسَّلْوَى** الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث
الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كُلُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** على ارادة القول **وَمَا ظَلَمُونَا** فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا **وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا
هَذِهِ الْقَرْيَةَ** يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه **فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا**
واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو **وَادْخُلُوا الْبَابَ** اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون
اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى **سُجَّدًا** متطامنين مخبتين او ساجدين لله
شكرا على اخراجهم من التيه **وَقُولُوا حِطَّةٌ** اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة
وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي نحط في هذه القرية ونقيم بها **نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع
بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت
الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة
بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر **وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ثوابا
جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما
بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي
قِيلَ لَهُمْ** بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا **فَأَنْزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا** كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به
موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها **رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو

وفي رواية اخرى بسبعون الفا

لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى موسى لقومه** لما عطشوا في التيه **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصى او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصى عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت منه او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه **قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا واشربوا** على تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت منه **ولا تعثوا في الارض مفسدين** لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا ربك** سله لنا بدعائك اياه **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد

وجزم

وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب للاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه **قال** اي الله او موسى **اتستبدلون الذي هو ادنى** اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنا من الدناءة **بالذي هو خير** يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائم فعرب **فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة** احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعم واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم **وباءوا بغضب من الله** رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق** بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعياء وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي

واعتدائهم حدود الله تع وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد
الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها
خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات
وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين امنوا** بالسنتهم
يريد به المتدينين بدين محمد عم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك
الكفرة **والذين هادوا** تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد
اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم
والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او
لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها **والصابئين** قوم بين النصارى
والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عبدة الملائكة وقيل هم عبدة الكواكب وهو ان كان
عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا
من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل **من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا** من كان
منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هؤلاء الكفرة
ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا **فلهم اجرهم عند ربهم** الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم **ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون** حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب
ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه
معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تع ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم **واذ اخذنا ميثاقكم** باتباع موسى والعمل بالتورية
ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرائيل فقلع الطور وظلله فوقهم حتى قبلوا **خذوا** على ارادة القول
ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب
او اعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا **ثم توليتم من بعد ذلك** اعرضتم عن الوفاء بالميثاق

بعد

بعد اخذه **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه **لكنتم من
الخاسرين** المغبونين بالانهماك في المعاصي وبالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع
الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه
مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف **ولقد
علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت** اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عم واشتغلوا
بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت
في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول فكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** جامعين
بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة
كما مثلوا بالحمار في قوله تع كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة
التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بكسر الراء وفتح القاف وخاسين بغير همزة
فجعلناها اي المسخة والعقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها
وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم
في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها **وموعظة للمتقين** من قومهم او لكل متق سمعها **واذ
قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة** اول هذه القصة قوله تع واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها وانما فك عنه وقدم لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في
السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تع ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر
بقاتليه **قالوا اتتخذنا هزوا** مكان هزء او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما
قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك المقام جهل وسفه نفي عن نفسه ما رمي

على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقال اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم
لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه
يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو
القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال م نواعم
بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانها لا تضاف الا الى
متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة تدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان
عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد
الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عم لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله تع فافعلوا ما تؤمرون اي
تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مامورکم قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة
ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء
لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تع جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها
كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر
لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول و
استكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين و
الصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالتاء
والياء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه
بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وانا ان شاء الله

لمهتدون

٣٦

لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج به
اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تع وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى
والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى
غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب واهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له
لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد
على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا
البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور
القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم و
امه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال
المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا و
الصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ
المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ
الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شأنها
اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه واصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية
مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض
والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها
وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه

العجب اصل الذنب وهو من كل دابة ما ضمت عليه الورك

يحيى والخطاب مع من حضر حيوة القتيل اونزول الآية **ويريكم آياته** دلائله على كمال قدرته **لعلكم تعقلون**
لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته
ولعل تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على
بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالي بثمنه كما روى عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب
امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه
ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف
الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة فيها من مقابحها
بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
والوهم من التدارؤ والنزاع **ثم قست قلوبكم** والقساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر
وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة **من بعد ذلك** يعني احياء
القتيل وجميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب **فهي كالحجارة** في القسوة **او اشد**
قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها
قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما
لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو
للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها **وان من الحجارة**
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء ويتفجر منه
الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن
امره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من
الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد
على ذلك وقرأ ابن كثير بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء **افتطمعون** الخطاب لرسول الله
والمؤمنين **ان يؤمنوا لكم** ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود **وقد كان فريق**

منهم

منهم طائفة من اسلافهم **يسمعون كلام الله** يعني التورية **ثم يحرفونه** كنعت محمد عم واية الرجم
او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين
كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء
فافعلوا فان شئتم فلا تفعلوا **من بعد ما عقلوه** اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة
وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه
الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك **واذا لقوا**
الذين آمنوا يعني منافقيهم **قالوا آمنا** بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية **واذا خلا**
بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق **اتحدثونهم بما فتح الله**
عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد عم والذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب
في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول
تقريع وعلى الثاني انكار ونهي **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه جاء في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم
او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها
افلا تعقلون اما تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب
من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم
اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين **ان الله يعلم ما**
يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم
واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب** جملة لا يعرفون
الكتاب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية **الا اماني** استثناء منقطع والاماني جمع
امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى
ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة
سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى
تقديره لكن يعلمون ما يقرؤن

داود الزبور على رسل وهولا ليس وصفهم بانهم اميون **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق بشبهة **فويل** اى تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل فمعناه ان فيها موضعا يتبوّأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء **للذين يكتبون الكتاب** يعنى المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة **بايديهم** تأكيد كقولك كتبته بيمينى **ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا** كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم **فويل لهم مما كتبت ايديهم** يعنى المحرف **وويل لهم مما يكسبون** يريد الرشى **وقالوا لن تمسنا النار** المس اتصال الشئ بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده **الا اياما معدودة** محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما **قل اتخذتم عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه **فلن يخلف الله عهده** جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره تعالى محال **ام تقولون على الله ما لا تعلمون** ام معادلة بهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع **بلى** اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفى **من كسب سيئة** قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به خطيئته** اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحيط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شأن الكافر لان غيره ان لم يكن سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به وارتكاب ما هو اكبر ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولى عليه الذنوب وياخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا

ان

٣٨

ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما **فاولئك اصحاب النار** ملازموها فى الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا **هم فيها خالدون** دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه **واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله** اخبار فى معنى النهى كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا والباقون بالياء لانهم غيب **وبالوالدين احسانا** متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا **وذى القربى واليتامى والمساكين** عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا** اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** يريد بهما ما فرض عليهم فى ملتهم **ثم توليتم** على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم **وانتم معرضون** قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم** على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله نسبا او دينا

وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

[illegible]

اولانه يوجب قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما
يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى
داركم فانه الجلاء الحقيقى ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون تاكيد كقولك اقر
فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد
الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه
وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل
الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار
ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل
فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلة
والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون
او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائى وحمزة بحذف
احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روى
ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى
القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه
ان ياتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم
كقوله تع اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى و
اسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير فكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله
وتخرجون فريقا منكم من دياركم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او
راجع الى ما دل عليه وتخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب
يعنى الفداء وتكفرون ببعض يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا
خزى فى الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزى
ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان

الشياطين صح

عصيانهم

٣٩

عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اى الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم
وقرا عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ويعقوب ونافع يعملون
على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب بنقص الجزية فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد
آتينا موسى الكتاب اى التورية وقفينا من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل اذا اتبعه
كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من
الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء
كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه و
قرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل
روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او
لانه لم يضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى وقرا ابن كثير
القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى
بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر
استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او التفصيل وفريقا
تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر
فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك
سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما
الا وعته ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها
خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول
ما تقول لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال تع فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين

لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل
وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القران
مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف
دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا
يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما
جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اى عليهم واتى بالمظهر
للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام
فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه
باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل
الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل
الله لان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله من فضله يعنى الوحى على من يشاء من عباده على من اختاره
للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد
عيسى عم او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه
طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى
بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به
ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما
وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية
فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء
مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون
عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعنى الايات التسع المذكورة فى قوله تع ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده بعد مجئ موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال يعنى
اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية

ايضا

او شروا به

قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف

٤٠

ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عم
لا لتكرير القصة وكذا الاية التى بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة و
اسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى التورية بجد وعزيمة واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك واشربوا فى قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما
يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تع انما يأكلون
فى بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمية او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه
فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى قل بئسما يأمركم به ايمانكم اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف
نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين
تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبائح ولا رخص
لكم ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى الا ما
يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس
سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل
الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رض لا ابالى سقطت
على الموت او سقط الموت على وقال عمار بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين
احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره و
لن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران وتحريف التورية ولما كانت
اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة و
القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمنى ليس من
عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى عم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى والله عليم بالظالمين تهديد لهم
وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من
وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهى الحيوة المتطاولة

وقرئ باللام **ومن الذين اشركوا** محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته **يود احدهم** على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف **لو يعمر الف سنة** حكاية عن ودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمّر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن **وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر** الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم **قل من كان عدوا لجبريل** نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلعم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبرائيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عم لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراه حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراه ابن كثير وجبرال كجحمرش قراه عاصم وجبريل كقنديل قراه الباقون واربع في الشواذ جبرال وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله **فانه نزله** الضمير الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره **على قلبك** فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه

لو ادتهم نحو

جاء على حكاية كلام الله تع كانه قال قل ما تكلمت به **باذن الله** بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل **مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لتنزيله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال تع **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** اراد بعداوة الله تع مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله تع والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكين بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تع عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل **ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون** اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك **اوكلما عاهدوا عهدا** الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا **نبذه فريق منهم** نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض **بل اكثرهم لا يؤمنون** رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم** كعيسى ومحمد عم **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله** يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما تصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول وهو القران **وراء ظهورهم** مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه **كانهم لا يعلمون** انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تع دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب

وهم اقل

جمّ غفير

واو ويعضد بل اكثرهم ... فهم
ضعفاء ولذلك نقض عهدهم ...
... ونقض العهد ... التسميح ...
او ... الغير ... تم

...

بقيتم

وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله تع بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا
وفسوقا وهم المعنيون بقوله تع نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم
الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون **واتبعوا
ما تتلوا الشياطين** عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي
تقراها وتتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما **على ملك سليمان** اى عهده وتتلوا حكاية
حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم
بهذا العلم وانه يسخر به الانس والجن والريح له **وما كفر سليمان** تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر
ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه **ولكن الشياطين كفروا** باستعماله **يعلمون الناس
السحر** اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين
مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب
شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب
الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه
من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه **وما انزل على الملكين** عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف
لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تع للناس وتمييزا
بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما
على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل و
حله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين
بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة **ببابل** ظرف او حال من الملكين
او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين ومنع
صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما
من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر** فمعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما

من الشياطين صح

نحن

نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد
جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل
وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا **فيتعلمون منهما** الضمير لما دل عليه من احد
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما **وما هم بضارين به من احد الا
باذن الله** لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة
الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم يقصدون به العمل ولان العلم
يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم** اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز اولى **ولقد
علموا** اى اليهود **لمن اشتراه** اى استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء
علقت علموا عن العمل **ما له في الاخرة من خلاق** نصيب **ولبئس ما شروا به انفسهم** يحتمل المعنيين على
ما مر **لو كانوا يعلمون** يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه من العذاب و
المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير
تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لا يعلم **ولو انهم امنوا** بالرسول
والكتاب **واتقوا** بترك المعاصي كنبذ كتاب الله تع واتباع السحر **لمثوبة من عند الله خير** جواب لو
واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل
على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة
لان المعنى لشيء من الثواب من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة
وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه **لو كانوا يعلمون** ان ثواب الله خير جهلهم لترك
التدبر والعمل بالعلم **يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا** الرعي حفظ الغير لمصلحته
وكان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ راعنا اى راقبنا وتان بنا فيما تلقينا حتى نفهمه وسمع
اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون
بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر
الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ
الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب

اليقين صح

ار المحانة

للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول
لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم
يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود
محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل
عليكم شيء منه وبالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه
ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة
من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ
من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما
شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل
بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النساء وقرئ ننسها
اي ننس احدا اياها وننسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نات
بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب
الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه
والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك
لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله تع ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج
بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة

ليست

ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى
به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت
من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب
للنبي عم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات
والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز
النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك
اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل
موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر
وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد
ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه وقيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله
عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا
وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل
ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون
اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم
يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا
اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة
في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله
بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس
انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله تع

بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند
الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف
على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع
هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة
الى الاماني المذكورة وهو ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة
غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية
افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم
وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على
عمله عند ربه ثابتا عند ربه لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت
موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز
ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح
ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك
مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال
فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما
قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول
والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما
يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد
الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم
لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله والمشركين لما منعوا رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام

عام

بقراءة الحسن الا من كان هود / صالوا الجحيم

فائدة الاعتراض [illegible] تمنيهم ذلك [illegible]

المعطلة هم الذين لا يثبتون الصانع

لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

[illegible]

عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي
المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع
فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم
فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة
فيه فجوزه ابو حنيفة رح ومنع مالك وفرق الشافعي رحمهم الله بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا
خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق
والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في
المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر
القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته
اي عالم مطلع لما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم
بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رض انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل
في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم
تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة
وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا
العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن
عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام
الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات
اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق
ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون
على مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من
حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا
لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون

بالعبودية

بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على
ان من ملك ولده عتق عليه لانه نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما بديع السموات
والارض مبدعهما ونظيره السميع فى قوله امن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى واصحابى هجوع او بديع
سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته
عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق ومنزه عن الانفعال فلا يكون والدا
والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفى زمان غالبا وقرئ بديع على البدل مجرورا من الضمير فى له ومنصوبا
على المدح واذا قضى امرا اى اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله تع وقضى ربك او فعلا
كقوله فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه
فانما يقول له كن فيكون من كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال
بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع
وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تع يستغنى عن ذلك واعلم
ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تع
باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتع هو الاب الاكبر
ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه
مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين او متجاهلوهم من اهل
الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله او تاتينا اية
حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود لان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد والفساد وقرئ بتشديد
الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم شبهة
ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا
وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل

عن

ريحانة اسم امراة والداعى داعى الشوق
والسميع بمعنى المسمع اى يدعوه ويسمعه
الصوت ويؤرقنى اى يوقظنى
وهجوع اى نيام

عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهى
للرسول عم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر
عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة فى اقناط الرسول عم عن اسلامهم فانهم اذا
لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تع عنهم ولذلك
قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام الى الحق لا ما تدعون
اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزايغة والملة ما شرعه الله تع لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم اى من
الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن
الذين اتيناهم الكتاب يريد مؤمنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ من التحريف والتدبر
فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب
اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن
الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود
من القصة واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق
من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابرهيم وحسن
لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى ولذلك فسرت
بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة فى قوله تع التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين
وقوله تع قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى ادم من ربه كلمات
وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تع عامله
معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الايات التى بعدها وقرئ ابرهيم على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى كيف تحيى

المتلهب

وسننه العشر مسح الراس والفرق وقص
الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق
وفى البدن الختان والاستحداد والاستنجا
وتقليم الاظفار ...

الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل تجيبه وقرا ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق
القيام كقوله تع وابرهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس
اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى
فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة
على ما قبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى
الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتى عطف على الكاف اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا
فى جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما فى تقضيت من
الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتى بالكسر وهى لغة
قال لا ينال عهدى الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة
لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من
الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ
جعلنا البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار
او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض
لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان
الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجانى الملتجى اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة رح واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على
ان الخطاب لامة محمد عم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذى فيه اثر قدمه والموضع الذى كان فيه حين
قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه عم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى
الطواف لما روى جابر رض انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعى رض فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل
مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تع وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى
عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم و

اسمعيل

٤٦

واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتى بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد
طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين
عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اى المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل
هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله فى عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم
وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من امن من اهله بدل البعض
للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة
فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية يعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم فى الدين او مبتدا
متضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز
المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه
من دعاء ابرهيم وفى قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر
الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر
يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات
ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها
وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها
واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين او
على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا
العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا
استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد
انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا
وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخص بعضهم لما علم

ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد ﷺ ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد
الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات و
من الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا
في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ
ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ من فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة
دليل عليها وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا
لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم
ولم يبعث من ذريتهما غير محمد ﷺ فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى و
رؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب
القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت
العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار
لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من
استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في
الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن
رأيه والم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه
فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد
في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او
متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح
المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله
دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة

ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل
فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل
الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول
ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم
يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة
اخبرا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا
ويشسوخور وزبولون وزوبالون وتفتولي وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله
اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره
النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا و
الامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على
الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود
قالوا لرسول الله عليه السلام الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت
وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل
الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم
على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل
عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق
على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله
عم الرجل صنو ابيه وكما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال
ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله
ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر

اسم قبيلة

اربعة وعشرين

العطف على المجرور والثاني كبيرا ونصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او
منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود
وسمى بها الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم
اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عم لا ياتيني الناس باعمالهم
وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين
القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة
ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه
او نحن ملته بمعنى نحن من اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف والمضاف اليه
كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم
فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اولى بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها
داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى
التورية والانجيل افردهما بالحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع
فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين
احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين
ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز
والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا
تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به
او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم
به

استعمال الضمائر على ثلثة اوجه احدها الضمير الغائب والثاني الضمير المتكلم والثالث الضمير المخاطب

٤٨

به اي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون
لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق
غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر
على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم
اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم
ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي
فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته
وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور
الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق
نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة
ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون
تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة
الله في مفعول قولوا ولمن ينصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا
او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل من اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل
اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب
قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم
دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا
كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من
يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون
نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي

اي نصبه على انه مفعول مطلق لان قوله صبغة الله في معنى ايمان الله اي تصديقنا امنا ايمانا الله تم

وحفص بالتاء ويحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله تع براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب به ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

علیکم

٤٩

عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تع ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون بتبليغ الانبياء فيطالبهم الله تع ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تع في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول ع م شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اى الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه ع م كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رض كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تع غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله تع ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول مميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحولة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين

والغاية للفعل حادث بعده

على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عم لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرا الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى ربما نرى تقلب وجهك فى السماء تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى فكان رسول الله صلعم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اى اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية بكل برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت

على

على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره تقديرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله عليه السلام وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضى الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد عم انه نبى واما ولدى فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول عم او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اى هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين فى انه من ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول عم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله تع موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف العامل وقرا ابن عام مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها

فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من
الجهات وهى السمتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا فى اى موضع تكونوا من موافق
ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا
ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شىء قدير يقدر على الاماتة و
الاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر
المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تع ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته
وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها
ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن لكل علة معلولها كما يقرن المدلول لكل مدلول
من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة
والشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم
حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع
احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد
ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف
قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون
لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول
الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه

وحبا لبلده

القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا
بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان
الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم فى حل او حرم واصل
الثقف الحذق فى ادراك الشىء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها حال
فاما تثقفنهم فاقتلونى ممن ثقفت فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى مكة وقد فعل ذلك
بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب
من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم
فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان
قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائى ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنوا اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك
جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن
الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع
العلة موضع الحكم او سمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان
تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام
بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا
ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج
عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجرى فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه احتجاج
عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجرى فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم وان قاتلوكم كما قال بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير
واتقوا الله فى الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم
وانفقوا فى سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش
او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوى العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب
الانصارى انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
او بالامساك وحب المال فانه يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشىء

من الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة
والهلاك والهُلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي ولا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه
لا تجعلوها آخذة بايديكم ولا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا
على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله
وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول
الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما
مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب الاهلال بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان
وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان
تفرد لكل منهما سفرا او تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم
يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك
والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رض لا حصر الا حصر العدو وكل
منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف
مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عم لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني
فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى
ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند
الاكثر لانه عم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رح يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم
امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى
تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي
محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال
ابو حنيفة يجب والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهديّ
جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل
ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عم
قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق
بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن
وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج

بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم
بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج
ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج
في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب
ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة
اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب
ابي حنيفة رح وقرئ سبعةً بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا
فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لها كاملة
صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي
الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع
عند ابي حنيفة رح اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا وان كان على اقل فهو مقيم
الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا
الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه
كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال
وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء
الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك
مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه
وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن
فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو
دليل على ما ذهب الشافعي اليه وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال
ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاث على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان
لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن

لانه خروج عن مقتضى الطبع والعاده الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان
قريشا كانت تخالف ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفه وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت على اهل اليمن
كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا
ويتقوا الابرام في السوال والتثقيل على الناس واتقون يا اولى الالباب فان قضية اللب خشية الله
وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شي سواه وهو مقتضى
العقل المعرى عن شوايب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
اي ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقهم في الجاهليه يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه
فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم
فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية
والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابله لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكوره وهي
ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح
تقديرها لان المذكوره تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتاء بنت وانما سمي الموقف
عرفه لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال
قد عرفت او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة
في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به واجبة وفيه نظر اذ الذكر
غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر
ويويد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفه بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر فدعا
وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى

عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفه كلها موقف الا وادي
محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك
وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان
والطاعة وان هي المخففه واللام هي الفارقه وقيل ان نافيه واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك
لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفه لا من المزدلفه والخطاب مع قريش
كانوا يقفون بجمع وساير الناس بعرفه ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم ثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد
الافاضة من عرفه اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله فنسي والمعنى
ان الافاضة من عرفه شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوها ان
الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات
الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم
في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد
منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكور من ابائكم
او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين
الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار
والارشاد اليه ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اي
نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار اي
بالعفو والمغفرة وقول علي رضه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء جمع حور وعذاب
النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار
معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المودية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني
وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما
دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على

كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين
ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده
اي فمن نفر ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وطلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن
تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر في النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه
على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم
المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة
والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا
انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله
يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا
متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من
ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد
الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام
المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في
الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل
في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعل الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك
مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل
مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به
والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد
او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن

٦١

سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا انفعكم ان كنت معكم ولا
يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤوف
بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء
يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك
يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن عامر ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة
لانها تكف الاجزاء التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها
ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا او باطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل
الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان
بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها
فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم
الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره
وباسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله بباسه فحذف المأتي به للدلالة عليه
بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام
السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان
الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة
فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ
وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه
من الرجع وقراه الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا
بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم
كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء
وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها نصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد

من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اى اياته فانها سبب الهدى الذى هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزايغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء المومنين كبلال وعمار وصهيب اى يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبداء السخرية منتدئة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم فى عليين وهم فى اسفل السافلين او لانهم فى كرامة وهم فى مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء فى الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اى فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اى الله والنبى المبعوث او كتاب فيما اختلفوا فيه فى الحق الذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه فى الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبى عم والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ

الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل فى الشدة مستهم الباساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقراء نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره لانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الاية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فالله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرى بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تع حملته امه كرها ووضعته كرها ~~وعسى ان تكرهوا~~ وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روى انه عم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية فى جمادى

جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه
فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطايف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى
معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله عم العير
والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله عم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام و
السايلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا او قيل اصحاب السرية قتال فيه بدل
الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه
منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف
والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد
صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد
الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي داود اكل امرء تحسبين امرأ ونار توقد
بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ لا يقدم العطف
على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار
واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء
وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كباير قريش وافعل من يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه
من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم
وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان
استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان
بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها
في احباط الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات الاسلام
من الفوايد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كساير
الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقق

في تحقق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب
ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم
باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من
الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم
وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد
ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك
سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار
فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله عم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر
في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر
العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلق وكذا كل ما اسكره عند اكثر العلماء
وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون
السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسرا او سلب يساره
والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب
عن المامور به وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة مذهب
المعتزلة ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سايله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف
ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق
ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى
النبي عم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا
فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق
به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين
ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف

اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم
تتفكرون فى الدلايل والاحكام فى الدنيا والاخرة فى امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منهما
وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر ما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام باموالهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله عم
فنزلت قل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم
فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد
بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى
يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اى لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم ما يشق
عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم
يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن وقرى
بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تع
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها
خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى انه عم بعث مرثد الغنوى الى مكة
ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استامر رسول الله عم فاستامره فنزلت
ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه
ولو اعجبتكم بحسنها وشمايلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا
تزوجوا منهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم
وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكور من المشركين والمشركات يدعون الى النار
اى بالكفر المودى الى النار فلا تليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد والعمل الموصلين
اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة
الهوى ويسئلونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود
والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت

والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السوالات الاول كانت
فى اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض
مستقذر يوذى من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عم انما
امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى
ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان
يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عباس يطهرن
اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضى تاخر جواز الاتيان عن الغسل
من حيث امركم الله اى الماتى الذى امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين
المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير الماتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث
لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور فاتوا حرثكم اى فاتوهن كما تاتون المحارث
وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من
جامع امراته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله عم فنزلت وقدموا لانفسكم ما
يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى واتقوا الله بالاجتناب عن
معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة
والنعيم الدايم امر الرسول عم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة
او فى عبد الله ابن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشر بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة
بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما تعرضه دون الشى وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله
حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عم لابن سمرة
اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف
بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة
اى لا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة
الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهيكم عنه ارادة بركم
وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به

في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يواخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يواخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يواخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمواخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال ان فيء به لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع عليم بغرضهم منه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما فوقه وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عم دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال ابو حنيفة لقوله عم فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الاخر ولعل الحكم لما

عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي اهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عم سئل اين الثالثة فقال عم او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله عم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بها عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله

نزل اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال
ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت
وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حدّ من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية
يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد
ذلك قوله عم ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عم
قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عم اما الزائد فلا والجمهور
استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء
واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها
فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق
لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان
تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض
اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى
تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب
واتفق الجمهور على انه لابد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله عم ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال النبي عم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة
قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في
هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل
فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله عم المحلل والمحلل له فان طلقها
الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا
ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدّه الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن
بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان
ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون

٦٦

يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق
على المدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر
ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد
في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء
الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة
للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق
يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة
ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء
واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ
كانه نهى عن الهزو واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب
فنزلت وعنه عم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران
والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء
عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق
الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي
انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون
دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد
النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي
العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج
وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا
كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها فلم
تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا
بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب
للجميع على تأويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي

دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة هذه الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب له اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل والفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدان بالولد فيفرطا في تعهده ويقصرا فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي يؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عم واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة

٥١

في دخل البلد او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او ليلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رح الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت

يتعلق بقوله استعينوا

الاولاد وعن النبي عم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملايكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن تتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان
من مكروه لقوله عم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب
بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده
منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان وعن النبي عم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله ان
الصفا والمروة علما جبلين بمكة من شعاير الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن
حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع
على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله
فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه
وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن لقوله عم اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل
اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم
مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا
من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد عم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من
بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى
منهم اللعن عليهم من الملايكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا
ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بين الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر

الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب
الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين
حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه
من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملايكة والناس اجمعون عطفا
على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم
الملايكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة
اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم
نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى
الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة
~~واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها~~ الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها
اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران
لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية
نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها
طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما
كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم
والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع
على عجايبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك
لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما
انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب
وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه
استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب
ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها
واحوالها وقرا حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل
ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله
واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها

بعيون عقولهم وعنه عم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات
على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة
وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات
او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا
تكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوى اجزائها فلابد لها من موجد
قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ
لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين
على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالٰهيته وان اختلفت
لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف
علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام
وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما
وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون
بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه
الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة
الله العبد ارادة الكرامة واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا
لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب
ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه
يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب
لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين
ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا تنفع ولا تضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب
ولو ترى على انه خطاب للنبي اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء
للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ الذين المتبوعون من الاتباع وقرئ

وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اى رائين له والواو للحال وقد مضمرة
وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول
اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاعراض الداعية الى ذلك
واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين
اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا
فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث
مفاعيل ارى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون
فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الاخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول
كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا تستطيبه
الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا
به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما
لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها
عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند
ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما
يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه
على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف
لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح
والفحشاء ما جاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على
المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه
قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس
وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى
ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدنا هم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع
القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما

انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اى لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف المضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهايم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم فى ذلك كالبهايم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم التى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهايم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمى رفع على الذم فهم لا يعقلون اى بالعقل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا الطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا الله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبى عم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نباء عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكوة والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثنى الشرع والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزايه كالتابع له وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان بغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول احمد فلا اثم عليه فى تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار

النار اما فى الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعنى الدية او فى المآل اى لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى فى بطونهم ملاء بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم لا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا والعذاب بالمغفرة فى الآخرة لكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اى حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق بعيد لفى خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب كانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيّنته واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويويده قراءة من قرا ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وآتى المال على حبه اى على حب المال كما قال عم لما سئل اى الصدقة افضل ان توتيه وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل صدقة وصلة كما قال عم والمساكين جمع المسكين وهو الذى اسكنه الخلة واصله دايم السكون كالمسكير للدايم السكر وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل ترعف به والسائلين الذين الجاءهم الحاجة الى السوال وقال عم للسايل حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال الزكوة المفروضة

ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداءها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد
بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة
كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين في الباساء والضراء
نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري الباساء في الاموال
كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا
في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذايل والآية كما ترى
جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة
في ثلثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من
آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة
الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين
حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله عم فنزلت وامرهم ان يتباوأوا ولا تدل
اى يتساووا
على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص
غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رح قتل الحر بالعبد
سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي رض ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول عم
ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد
ولان ابا بكر وعمر رض كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت
الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب
ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرى كتب على البناء للفاعل والقصاص
بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته
الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو
ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله عفا الله
عنك وقال عفا الله عنها واذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن

عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام
ليرق له ويعطف فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية
العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا
يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضي العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي رح
في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع
وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين
الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك فقتل بعد العفو واخذ الدية
فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ
الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل
عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور
الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار
وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ
به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا
عن الضمير المستكن فيه وقرى في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب
يا اولي الالباب لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا
عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا اي مالا
وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رض ان مولى له اراد ان يوصي وله سبع مائة درهم فمنعه وقال قال
الله ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عايشة رض ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك
فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه
لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي
او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية
المواريث وبقوله عم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث

لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة
اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسّر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني
ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حُقّ ذلك حقا فمن بدّله غيّره من الاوصياء والشهود
بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدّلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل
الا على مبدّله لانه الذي خاف وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص
اي توقّع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح
بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يوثم يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد
للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع
الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة
التي هي مبدؤها كما قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءها لاصالتها وقدمها
اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعدّ عدا والكثير يهال
هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد
بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او
بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم
في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا
عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره
الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام
اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب
الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومدّ عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة

ما ضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يُطوَّقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة
او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطّوقونه بالادغام ويطيّقونه ويطّيّقونه على ان
اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى
ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية
فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون
في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل
معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده
او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام
صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او بدل من اياما
معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية
والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عم من صام رمضان فعلى
حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب
فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ
فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه
القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته
والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه
بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو
هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم
والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد
فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب
الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت
الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر

ولعل تكبروه من ايام الحر لذلك او ليلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او الافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله عم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعانى تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تع لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رض باشر بعد العشاء فندم واتى النبى عم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى ... ... علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب

كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته فى اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باجتهادهم فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه ونفى صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطى وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطى يحرم فيه ويفسده لان النهى فى العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اى الاحكام التى ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهى او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى

على امراء القيس الكندى قطعة ارض ولم تكن له بينة فحكم رسول الله عم بان يحلف امرا القيس فهم به
ومراءاى الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان
فنزلت وهى دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عم انما انا بشر وانتم تختصمون
الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من
حق اخيه فانما اقضى له بقطعة من النار يسئلونك عن الاهلة سئله معاذ بن جبل وثعلبة
بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود
كما بدا قل هى مواقيت للناس والحج فانهم سئلوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره
فامره الله تعالى ان يجيب بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها
امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه
اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان
المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان
المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا
لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون
ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سئلوا
عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم فى الحج ذكره للاستطراد او انهم
لما سئلوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السوال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب
بذكره جواب ما سئلوا تنبيها على ان اللايق بهم ان يسئلوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها وان المراد
به التنبيه على تعكيسهم السوال كحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا
فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس فى العدول
بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون
لكى تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا فى سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه
الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء
او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا
رسول الله عم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء

لا نفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل
وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى
ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى
فطاما صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة
والمشورة والمشورة استخراج الراى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى
ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض
وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل
واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه
فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا
سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تع اذا قمتم الى الصلوة وقراء ابن كثير ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم
اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم
لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما
شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم
وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله
قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قولهم ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم الا يوما
ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان
انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس
بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعى والحرة والامة كما قاله
الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه
لقوله تع واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين
احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما
فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره

الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي عم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة

والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة ومن المقتر اي الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عم لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر مثلها ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر موكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى

صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارًا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار فكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها وقيل صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عايشة رضي انه عم كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل بالفضل وقرى بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين وراكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقايم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي رح وقال ابو حنيفة رح لا يصلي حال المشي والمسايفة مالم يكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليكم وصية او عليهم وصية وقرى متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قراه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز

عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له اضعافا عن جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب

بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدر قدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه
على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف
اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا
تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل
الملا جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء
اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا
ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال
اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم
عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا
قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال
وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه
من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا
ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا
قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك
الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من
الطول يكذبه منع صرفه روي ان النبي عم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك
عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن
احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة وانه فقير لا مال له يعتضد
به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة
والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان
الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا
تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم
بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن
ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله

فيهما وكان الرجل القايم يمد يده فيناله راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق
فله ان يوتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق
بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت
وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال
يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله
منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب
الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي
في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عم
اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد عم
وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا
للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك ال موسى وال هارون رضاض الالواح وعصا
موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناوهما او انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل
لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل
كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت
فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عم وان يكون ابتداء خطاب من الله
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما
كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه
ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال
ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي
او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان
شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عم

اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب والما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية
بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل
دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اى فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون
بواسطة وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرى بالرفع
حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثماية وثلثة عشر
رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا اى بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى
قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين
عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة
او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع
فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده
اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم
الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب
عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة
لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان
داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت فطلبه
من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا
قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا
انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا
في الارض او لفسدت الارض بشومهم تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه
المطابق الذى لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها
من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكور قصصها في السورة او المعلومة للرسول
او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست
لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم ليلة الحيرة
وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرى كلم
الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع
بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عم فانه
خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر
والفضايل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف
المستغنى عن التعيين وقيل ابرهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس
لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه
بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب
تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس
جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات
لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه لالتزام دين
الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن
الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء
متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق
بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين
آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجب عليكم انفاقه من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا

شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى تعينكم عليه او يسامحونكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتداء وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحى الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه على القوة والامكان القيوم الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفى للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان ماوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التى بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبيا

والانبيا ولا يحيطون بشىء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسى في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدى العرش ولذلك سمى كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسى الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اى حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلى المتعالى عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسايل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعترى الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه ولا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عم ان اعظم آية في القران آية الكرسى من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال عم من قرا آية الكرسى في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا ولكن قد تبين الرشد من الغى تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهى اى لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روى ان انصاريا كان له

ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا
الى رسول الله فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او
صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق
الرسول فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق
وهي مستعارة للمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال
فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق
الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الهوى وقبول
الوساوس والشبه المودية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر
او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي
الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من
النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات
الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى
الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله
على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت
ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج
او بدل من ان آتاه الله الملك على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجساد
وقرا حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول
عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته الذي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود
زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته
او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي

146

الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم
الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل
لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على
قرية تقديره او رايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان
المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف
مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه
قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقريره
او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث
ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج
منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية
ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة
طريق الاحياء واستعظاما بقدرة المحيي ان كان القايل مؤمنا واستبعادا ان كان القايل كافرا
وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا
مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القايل هو الله وساغ
ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال
لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحماء
المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر
الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا
الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اي
وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التوراة من

من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى قريته كان
شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام
الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض و
نركبه عليه وكيف منصوب بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرى ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم
نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على
كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او يفسره
ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر
مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى
انما سال ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء
الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر
ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر
على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب
بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سالت
لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير
قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء
النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاووس
والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة
الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع خواص الحيوان والطير مصدر
سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس
عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف
الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرى فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من
التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق اجزاءهن على

على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين
باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها
وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم
يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى آخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى
رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن
بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب
في السؤال انه تع اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد اماتته مائة عام
واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما
كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها
ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء
بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير
الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رضه فانه
جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي عم باربعة
الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم
عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم
يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه
او نيل المغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة
يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق

بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة او مما
ثلين الذى ينفق رئاء والكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول
له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائى في انفاقه كمثل صفوان
كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب
لا يقدرون على شىء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذى ينفق باعتبار
المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذى حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدى القوم الكافرين
الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن
ان يجتنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا
بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتداء من اصل انفسهم
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة
اى ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى
ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر والضم وثلثتها لغات فيها اصابها وابل مطر
عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلى
ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين
اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها
او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر
الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم
الكثيرة والقليلة الزائدة تين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن
الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب
تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا

تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على
سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن
فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكأنه قيل
ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصف تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل
الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد
حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى
بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل
سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين
آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما
اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه
ولا تقصدوا الردى منه اى من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر
وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق
به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اى وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى
تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر و
شراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله
واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ
الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى
البخيل فاحشا وقيل المعاصى والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم
وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق
عليم بانفاقه يؤتى الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثانى ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله فقد اوتى خيرا كثيرا

اى اى خير كثير اذ خيرت له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او ما يتفكر كالمتذكر
لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شائبة الوهم
والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية فى حق او باطل
او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين
الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يفون بالنذور من انصار من
ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها مع
الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره
افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة
الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قراءة ابن عامر
وعاصم فى رواية حفص اى والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش
ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر
وقرا نافع وحمزة والكسائى مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل
للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس
مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث
ولكن الله يهدى من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير
من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه وما تنفقوا من خير فلانفسكم
غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه
فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا
مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عم اللهم اجعل لمنفق
خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون
عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون
اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقونه للفقراء
او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض
ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد

المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله عم يحسبهم
الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السوال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة
الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسئلون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسول
حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسئلون
وان سئلوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه
على المصدر فانه كنوع من السوال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب فى الانفاق
وخصوصا على هولاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت فى ابى بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل فى على لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا
ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر
محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اى الآخذون له وانما
ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان
يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما
كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا
من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون
ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اى
الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجن يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق
بيقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم
وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلاف عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك
واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة
كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما
ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا
الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه

موعظة من ربه من بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عم ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به. روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش عنه فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرا عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه

ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم بعضا يقال داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل على جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص

بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل
منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى
ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
او التحمل سموا شهداء تنزيلا لما شارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تساموا ان تكتبوه لا تملوا
من كثرة مداينا تكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسام عن الكسل لانه صفة
المنافق ولذلك قال عم لا يقول المومن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او
مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى
ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما
مبنيان من اقسط واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم
كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله
والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين او دين وادارتها بينهم تعاطيهم
اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب
عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل
تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها
او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه
الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار
كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك
الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار
وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم
الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظ الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى

الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من
الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان
او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد
والضحاك لانه عم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه
غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء
على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن
الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ
الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي اتمن بادغام الياء في التاء وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في
حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها
الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه
ياثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن
زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ
اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد
لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء
والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر
الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي
وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون
عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم
الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمومنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب
عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح

وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما التعظيم او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان
وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين
الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين
احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون
حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد
عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا
اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد
الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة
او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على
عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لامتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر
لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل
بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء
من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما
ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب
وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة
واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عم رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا
اصرا عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد
للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون
صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا يفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز
التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف
عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا

علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على
الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عم لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عم
انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما
بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في
ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة كما قال عم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة
وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة آل عمران مدنية
وآيها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم
الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد
اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم
التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم
روي انه عم قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل
عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب
القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع
الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما
من الورى والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل
بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان
قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب
الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه
قال وانزل ساير ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له
مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين
الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد
بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع عن التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة

المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا وكفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله عم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء او يزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره

غير مراد ولم يدل على ما هو المراد ويقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كداب آل فرعون في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا

فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عم جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم اية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمومنين فى فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المومنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا الف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثماية وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمومنين او يرى المومنون المشركين مثلى المومنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله فى قوله ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مائتين وقرا نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا راى العين روية ظاهرة معاينة والله يويد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الواقعة اية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول عم لعبرة لاولى الابصار لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهواتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تع لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل ماية الف دينار وقيل ملا مسك ثور واختلف فى انه فعلال او فنعال

والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدورة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن الماب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويويده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراه عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسئ او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفى ترتيب السوال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها

163

حال موكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت به الحجج ودعت اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق

164

حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمومنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد عم وكتاب الله القران او التورية لما روي انه عم دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلايل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تع وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رءوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخيران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان

بيدك الخير انك على كل شئ قدير ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى
بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب فى الخطاب اولان الكلام
وقع فيه اذ روى انه عم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون
فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله عم يخبره فجاء فاخذ
المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء منه ما بين لابتيها لكان مصباحا
فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى قصور صنعا واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على
كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب
قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر
ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى
من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته
على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال
احدهما فى الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من موادها واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المومن من الكافر والكافر
من المومن لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما
حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله او عن الاستعانة بهم فى الغزو وساير الامور الدينية من دون
المومنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالات وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل
ذلك اى اتخاذهم اولياء فليس من الله فى شئ من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين
لا يجتمعان قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم
تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا
وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا او باطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة
فان اظهار الموالاة حينئذ جايز كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدايه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى
المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذور منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة

قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله اى يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها
ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شئ قدير
فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم الله
نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها
فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه يوم منصوب بتود
اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين
ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء
وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرى ودت وعلى هذا يصح ان يكون
شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه
كرره للتاكيد والتذكير والله رءوف بالعباد اشارة الى انه تع انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصالحهم
او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى المحبة ميل
النفس الى الشئ لكمال ادركه فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله
وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه ولذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته
والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم
بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب الى الله بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قال اليهود نحن
ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى اقوام زعموا
على عهده عم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل
لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمومنين
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية
ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان

مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعازار ابن ابى يوزبن زربابل بن سالبان بن يوحنا بن اوشا بن اموص بن ميشكن حار قاس اجاز ابن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط ابن ايشا بن راجعم بن سليمان بن داود بن ايشا ابن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون ابن عميناذاب بن رام بن حصروم بن فارص بن يهودا ابن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمان مائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما او من نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين الذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرأ ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن انه المراد وزوجته وبرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشئ او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولى ونيتي فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى الضمير لما في بطني وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا او تحزنا الى ربها لانها كانت ترجوان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اى بالشئ الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرى وضعت على انه خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت

وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى تكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبي عم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن تقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله روى ان فاطمة رض اهدت لرسول الله عم رغيفين و[illegible] لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها

انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة
سيدة نساء بنى اسرايل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فاوسعت
على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى
كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل
لما راى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لى من لدنك ذرية
لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملايكة اى من
جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرايل وحده وقرا حمزة والكسايى فناداه بالامالة
والتذكير وهو قايم يصلى فى المحراب اى قايما فى الصلوة ويصلى صفة قايم او خبر او حال آخر او حال عن
الضمير فى قايم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء
نوع منه وقرا حمزة والكسايى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا
بكلمة من الله اى بعيسى سمى بذلك لانه وجد بامره دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او
بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا للناس
كلهم فى انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كاينا من عداد من لم يات كبيرة
ولا صغيرة قال رب انى يكون لى غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن
كيفية حدوثه وقد بلغنى الكبر ادركنى كبر السن واثر فى وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون
وامراتى عاقر اى يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اى الله على
مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء
بيان قال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار
قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلثة ايام اى لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص
المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه
ما اشتق من السوال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع

منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرى رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز
على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
واذكر ربك كثيرا فى ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه
لا يفيد التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرى بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت
الملايكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها
ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى
لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها
من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناءها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما
يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملايكة اليها وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد
من غير اب وتبريتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتى
لربك واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة
عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او
ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد
بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقايما وبالسجود الصلوة
كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى ما ذكرنا
من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل
التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم اى يلقون ليعلموا او يقولون ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا فى كفالتها اذ قالت
الملايكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة
فى زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح
لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب

ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او
مسحه جبريل ومن العيش وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كانت صفة
تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل
ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفة وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد
من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا
والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا
النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه
الى السماء وصحبته للملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء
من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا
بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال
ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او
استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل
جبرئيل او الله وجبريل حكى لها قول الله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه
كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللوم لما علمت
انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص
الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول
تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق
وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه
مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب على بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية
او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي
في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وابرئ

الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف
من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عم وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن
الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان
كنتم مومنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين
ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل
عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله باني قد جئتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى
كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع
موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان
النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة
الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي عم والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد
الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة
والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول فقال ان
الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة
الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان
بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عم قل امنت بالله ثم استقم فلما
احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا
او ضاما الى الله ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي
وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض
الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عم لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عم من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب

اى يبتغونها نحن انصار الله اى انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم
القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة
محمد عم فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه
من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر
من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله الا على سبيل المقابلة
والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال
الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفى اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك
نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته
الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم
القيمة يغلبونهم بالحجة او السيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى
الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب
المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل
له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه
عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا
خبرين وان تنتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل
اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب بلا اب وام شبه حاله
بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اى انشأه
بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر
لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن

ربك خبره اى الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبى عم على طريقة التهييج لزيادة
الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات
الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما
قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب
منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة
الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله عم وقد غدا
محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا
فاذعنوا لرسول الله عم وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عم والذى نفسى بيده
لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير
على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص
الحق بجملتها خبر ان وهو فصل يفيد ان ما ذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام
دخلت فيه على الفصل لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه
بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه فى
القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر
موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد
النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود
المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ان لا نعبد الا الله
ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه
اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع
الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم

وزعبدانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله عم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتداء وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرى والنبي بالنصب عطفا على الهاء اي اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم

ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في الميز بينهما وقرى تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طايفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملهم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطايل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اي الآن يؤتى احد دبرتم وقرى ان يؤتى على لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ردّ وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من
ان تأمنه بقنطار يؤدّه اليك كعبد الله بن سلام استودعه قريشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه
الله ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قريشي آخر دينارا فجحده
وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ
الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب
قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا
عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون ذلك لانهم استحلوا
ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا
تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عم انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر
بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من
واشعر بان التقوى بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب
عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون
بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره
واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا
يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه وقيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا
نعت محمد عم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي
في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون

يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبهة الكتاب
وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير
ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع
عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل
العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد
على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال
معاذ الله ان يعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل
قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم
والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين
وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرِسون من ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم ويجوز ان يكون القراءة
المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي
في قوله ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين
اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو
ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال ايامركم بالكفر انكار والضمير
فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان
يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تع

اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما توطية للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على ساير

ساير الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما يؤسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه وقيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عم والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لا في ارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين

كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في شانهم وابراز حالهم في صورة حال
الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفديه ادخل الفا اعلمنا للاشعار به
وملء الشيء ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر محذوف ولو افتدى
به محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فديه ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر
تقديره فلن تقبل من احدهم ملء الارض لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد
ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل تحذف ويراد كثيرا لان
المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما
يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي
لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا
مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في
سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي بيرحي فضعها
حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد
بن حارثه بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليها رسول الله عم اسامة فقال زيد
انما اردت ان اتصدق به فقال عم ان الله قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال
على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون
وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره
ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها
كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث حال معه لا من حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها
وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك
باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم
في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي

ذي ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده
حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ قل فاتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم والطعن في دعوى الرسول عم موافقة ابرهيم عم بتحليله لحوم
الابل والبانها بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي
انه عم لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوريه على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد
ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله
تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة
الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف
والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابرهيم ومن تبعه وما كان من
المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط
والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم
والواضع هو الله ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة
في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد
من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عم سئل عن اول بيت
وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من
بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس
في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة
فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ثم رفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات
وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه و
اعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم
ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب
الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتداء محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم
او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم

في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الآية من بين الصخار وابقاءه دون
ساير آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب
هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله
كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى أمن من دخله اقتصر
بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب
يوم القيمة قال عم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة
او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه
المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل
من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها
بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب
على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت
او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا
لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد
امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده
على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد
ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء في هذا
الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على
الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب
البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله عم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل
ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عم
فيما ادعاه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم
وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد

شهيد مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل
واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه
وهو الاسلام وقيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال
من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق
بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر
دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية
الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين
عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا
جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس
ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلين خلق
عظيم فتوجه اليهم رسول الله عم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم
الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية وألف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول عم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد
ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم
الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في
حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه
او يلتجئ الى الله في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب
عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رض هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر

تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة و
اليا الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو
المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عم القران حبل الله
المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة عن التردي كما ان التمسك بالحبل سبب
للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه والاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه
ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي
يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي
من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية
متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة
في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عم وكنتم على شفا حفرة
من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحال لوقعتم في النار
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه
بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر
وحذفت في المونث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلايله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم
على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من
للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي
له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن
من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا
جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة امرين كقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او
دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك
هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عم سئل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم

وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به
والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه
لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت
من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي
فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عم اختلاف امتي رحمة ولقوله عم من اجتهد
فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد
على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض
الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض
الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما
الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب
من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله عم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار
كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلايل والايات فذوقوا
العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المومن وان استغرق عمره
في طاعة الله فانه لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان تقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون
مطلع الكلام ومقطعه حلية المومنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل
كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك ايات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة
بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع
الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرا كقوله
وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت
لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتومنون بالله
يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يومن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان
يومن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا

بالله وتصديقا به واظهار الدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل
معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن
اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد
لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كالطعن والتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل
واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول
وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ
لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من
المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم
الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين
بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا
بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم
الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك
اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على
الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب
الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون
بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف
لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود
ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عم اخرها
ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة

الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في
الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير
متعبدين بالليل مشركون بالله يلحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في
الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت
احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه
البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ
حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان
التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها
خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة
الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت
وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم
لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق
لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث
ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم
ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير
الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة
وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عم الانصار
شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي
بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف
ثم عدي الى مفعولين كقولك لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة
الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم
وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص

وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علما فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اى بما يعملون فى عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اى واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله فى مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابى ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين

خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رأيت فى منامى بقرا مذبوحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج فى زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابى فى ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله فى الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزّلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة فى حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين

من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل
امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف
وما النصر الا من عند الله لا من العُدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما
امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر
وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل
بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر
ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب
واو للتنويع فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم
او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان
اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان
يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك
من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم
فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة ابن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله
لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى
اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال

في امساك ذلك دليل عزه التوصل الى ما جعل جبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى
ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات
والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن
عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة
مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء
والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون
في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي عم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته عن النبي عم ان
هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس
ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح
كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم
فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين
والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا
على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفتها
على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها
المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول
يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا
بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا
على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك

لتقصيره كالعامل للتحصيل بعض ما فوّت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمجبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنّها الله في الامم المكذبة كقوله وقتّلوا تقتيلا سنّة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم فانظروا الاية مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخّص من امر المتقين والتايبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مومنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عباس عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسّين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهولاء تارة ولهولاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسرّ والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة غير واحدة وان ما يصيب المومن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على

على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدّلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلّبهم احيانا استدراجا وابتلاء للمومنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولم تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله عم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحّوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذبّ عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون

بالحيوه بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك منه وشد
بسيفه فقاتل حتى قُتِل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه
وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله الا بمشيته او باذنه لملك الموت فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه وقضايه
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا موجلا صفة له اى
موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها تعريض لمن شغلتهم الغنايم يوم احد فان
المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا
مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورايهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها اى من ثوابها
وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله ولم يشغلهم شىء عن الجهاد وكاين اصله اىّ دخلت الكاف
عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبتت فى الخط على غير قياس وقراء ابن كثير وكاين ككاعن ووجهه
انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأيْن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف
ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طايى من نبى قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او
عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقراء ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب قُتِل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه ويؤيد
الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ رَبيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب
كالكسر فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبى او
بعضهم وما ضعفوا عن العدو او فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من
السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون
من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله
والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم
فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة

واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر على
العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا
اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله
يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة وحسن الذكر فى الدنيا
والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان
واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه
يستجر الى موافقتهم بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله موليكم وهو خير
الناصرين فاستعينوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف
فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا
موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق
ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب فى قلوبهم وقراء ابن عامر والكسائى
ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا
اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل
السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس
مثوى الظالمين اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده
اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم
باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة
فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم فى الامر يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال
بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون
العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة
وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة

ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال

فغلبوكم ليبتليكم على المصايب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم

من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المومنين يتفضل عليهم او في الاحوال كلها سواء اديل لهم

او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد

الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد

ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله

الجنة في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم

عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح

وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذ قتموه رسول الله بعصيانكم

له لتتمرنوا على الصبر في الشدايد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فايت وضر لاحق وقيل لا مزيده

والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير

في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على

عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون

عليم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم

النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه

ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول و

امنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار

وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طايفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي

بالتاء ردا على الامنة والطايفة المومنون حقا وطايفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم

في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى

لطايفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله

غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها

يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من

النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا

99

انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من

الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليايه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء

له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون

في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين

الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف

على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد وزعم ان الامر كله لله ولاوليايه او لو كان لنا اختيار

وتدبير لم نبرح كما كان راى ابن ابي وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة

قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل

وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور

ودبرها في سابق قضايه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر

سرايرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على

محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في

قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل

اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المومنين

واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما

كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه

واقترفوا ذنوبا بمخالفة النبي عم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فمنعوا التاييد وقوة القلب

وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا

كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج

من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة

المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم

لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها

وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزا

جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت رد لقولهم اى هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم يموتوا ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائى متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شيء وعينته فتوكل على ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبى ان يغل وما صح لنبى ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغنم

يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهى للرسول على ما روى انه بعث طلايع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فتكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ياتى بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللايق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عذاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصى وماويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب او العقاب او هم ذووا درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه وبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم اياته اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر

بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رض باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا او استهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدل من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عن من كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة فكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله عم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم

احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا وقتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس انه عم قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان اباسفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني

الركب الذي استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه
كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من
احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل
مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود
وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال
لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عم
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم
ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا
بل ثبت به يقينهم بالله وازدادوا ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان
الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل
فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه
اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم
الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان و
ثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم
وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد
والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به
انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان ل
لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم

قول

تثبطه عن الامر اي تشغله عنه

بيان لحسب

١٠٢

قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم
او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى اولياءه
على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار
خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه و
هم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا
عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من
الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار
بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم
الى الكفر لانه تع لم يرد لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة
بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من العرب ولا يحسبن الذين كفروا انما
نملي لهم خير لانفسهم خطاب لرسول الله صلعم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي
لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين
كقوله تع ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن
الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء
خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تنفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام عثمان
فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان
مع ما في حيزه مفعوله وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال
واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما
نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند
المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن
الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض

الى اولياءه

وحرصا

من الاعراب

معناه ان املاءنا لهم خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان
يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم او
بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال
والانفس فى سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله ليطلعكم على
الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب
فيطلع على ما فى القلوب من كفر او ايمان ولكن الله يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه و
يخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص و
بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله و
لا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن
منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى انه ع م قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن
بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا
يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم القرآت فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر
مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء
ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلعم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول
محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اى البخل شر لهم
لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه ع م ما من رجل لا يؤدى زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا فى عنقه
يوم القيمة ولله ميراث السموت والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله
ولا ينفقونه فى سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون فى سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم
الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر و
فيجازيهم نحو
عاصم

١٠٣

عاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله وروى انه
ع م كتب مع ابى بكر رض الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء
الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير حين سال
القرض فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلعم
وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا
وقتلهم الانبياء بغير حق اى سنكتبه فى صحائف الكتبة او سنحفظه فى علمنا ولا نهمله لانه كلمة
عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه
ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترا على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول
وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب
الحريق اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد و
الذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات
وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشى عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة
الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك
اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدى
عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت و
سببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسئ
الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله
عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت الانبياء بنى اسرائيل وهو ان
يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق و
هذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو
وساير المعجزات شرع فى ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم
سواء

فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاءوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر
موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم
وامتناعهم عن الايمان لاجله فما بالهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤوا على قتله
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية
للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء
الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ
ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة حرف الجر للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات
كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع
التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا
كان او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بان يكون قبلها
بعض الاجور ويؤيده قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن
زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة
فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عم من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى
اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع
بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها
من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك
قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امره فان ذلك يعني الصبر والتقوى من

عزم

عزم الامور يعني من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ
فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه
ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم
الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه
جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا
واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي عم من كتم علما من اهله
الجم بلجام من نار وعن علي رض ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم
ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا
تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن
الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء
بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن
محذوف فان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن
انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عم سأل اليهود عن شيء مما في
التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل
انه نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به
وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان
الذي لم يفعلوا على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على
كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق
في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير
وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزءه كتغير
العناصر بتبدل صورها او الخارج عنها كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عم ويل
لمن قراها ولم يتفكر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على
الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عم من احب ان يرتع في رياض
الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب الطاقة لقوله عم
لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهو
حجة للشافعي رحمه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون في خلق السموت والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات
كما قال عم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عم بينما
رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا
وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله
ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى
المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموت والارض او اليهما لانهما في معنى
المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون
مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال
الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث و
خلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموت والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من
تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه

اشعار

فقد ادرك اي الصمان اسم جبل فيه مرعى عظيم الذي ليس بعده مرعى ثم اي ادرك المرعى

اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين
ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار و
انقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة
لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع
وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير
المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول عم وقيل القران والنداء و
الدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم
فامنا اي بان امنوا فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سياتنا
صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب
لقاء الله فقد احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من
الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد
بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال
او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا
على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم
القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن
واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير
ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها
وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب
لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني
لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول
من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى

والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق
في الدين وهي جملة معترضة بيّن بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة
قالت لرسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين
هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس
لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا
وشدد ابن كثير وابن عامر قتّلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونّها ولادخلنهم جنات تجري
من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد
والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
الخطاب للنبي عم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد
والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا
تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم
ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء
الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي
ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمومنين قال عم ما الدنيا في الاخرة
الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا
لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
النزْل والنزُل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف
وقيل انه مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما
يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت في عبد الله
بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم

والانثى

كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلعم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من من وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله نؤتهم اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو انفسكم على الطاعة كما قال عم من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبرؤ عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي صلعم من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلعم من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله بيان لكيفية تولدهم منها والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان تكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي

الى توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا كقال قولا وقالا وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان

لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلثة ثلثة واربعة اربعة غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن

اي لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم

١٠٣

صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في خطوط كانه في الجلد توليع البهق اردت كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيما مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما وهو ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم اي اجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عم اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر سنة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح

عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم
اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط و
الجملة غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد
وقال ابو حنيفة رح اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال
اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تاكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان
غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه
ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عم ان رجلا قال
له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم
بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا
دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان
وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة
وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان
اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او
قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما
يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال
ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل
على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم

منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ
من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا
لهم قولا معروفا وهو ان تدعوا لهم وتستقلوا ما اعطوهم ولا تمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا
بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان
يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضرهم
بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان
ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة
الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف
بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هو غاية الخشية بعد ما امرهم
بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره
التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية
ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة انما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى
النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل
من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم وسيصلون
سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ
به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم
وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان
فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه

على لم التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم بخلاف
للعلم به فان كن نساء اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اى نساء زايدات
على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
اى وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن
عباس حكمهما حكم الواحدة لانه جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه
لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان
فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء
فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فالحري ان تستحقه
مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثان لقوله فلهما الثلثان
مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفايدته التنصيص على استحقاق
كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد للسدس مما ترك ان كان له للميت
ولد ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا
بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه
لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك
اثلاثا وعلى هذا ينبغي لم يكن لهما حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور
لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث
الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام
والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات
وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا
حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق
بما تقدم من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين

او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان
على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث
شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم
فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم
ان من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض
موكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر موكد او مصدر يوصيكم الله لانه
في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم
نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث
من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية
يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق
والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث
منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف
ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل
الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل
فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له
وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة
ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها
ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل
وله اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اى من الام

ويدل عليه قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر اخر السورة ان للاختين
الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيما سبب لم يكون
لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث سوى بين الذكر
والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا
يرثون مع البنت وبنت الابن مخصص منه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار
اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار
بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء
للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر موكد او منصوب
بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا تضار وصية من الله
وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب
والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى
والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا
نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صايدا به غدا وكذلك
خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتى
يأتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها
والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المومنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت
واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملايكة الموت
قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوايل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن
بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء
بقوله الزانية والزانى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح

السفاح واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية وقرا ابن كثير واللذان بتشديد النون
وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل
بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما
بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة وقيل هذه
الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى
فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة انما التوبة على الله اى
ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون
السوء بجهالة متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله
فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت
لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه
قريبا لان امد الحيوة قريب كقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم
حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب
الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد
بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
فى التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التايب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة وعدم
الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة هولاء وعدم توبة هولاء سواء وقيل المراد
بالذين يعملون السوء عصاة المومنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول
توبتهم وبيان ان العذاب اعد لهم ولا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة
وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها

يعني تزوجها بغير صداق جديد مانع

بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها هنا بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب للازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا لان ياتين بفاحشة وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احديهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح

او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيلا من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتكم او ولدت من ولدكم وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا او لد ذكر والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى او ولد انثى قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل الذي در عليه اللبن قال عم يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان له لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمها عن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق

بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضيه للنظم ولا يجوز تعليقها
بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائيه وان علقتها بالامهات
لم يجز ذلك بل وجب لم تكن بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء
اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله تعالى لستُ منك ولستَ منى على معنى ان امهات النساء و
بناتهن متصلات بهن لكن الرسول عم فرق بينهما فقال رجل يتزوج امراة وطلقها قبل لم يدخل
بها انه لا باس لم يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه
روى عن علي رض تقييد التحريم فيهما ولا يجوز لم تكون الموصول الثانى صفة للنساء لان عاملهما مختلف
وفايدة حولة في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى لم الربائب اذا دخلتم بامها تهن ومن في
احتضانكم او بصدده وقوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجرى امهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن علي رض جعله شرطا والامهات والربائب
تعمنا ولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهي كناية عن
الجماع ويوثر ماليس بزنا كالوطى بشبهة او ملك يمين وعند ابى حنيفه لمس المنكوحة ونحوه
كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلايل
ابنايكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز
عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات
والظاهر لم الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة في النكاح فهى محرمة
في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رض حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الاية وقوله
او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة
في غير ذلك ولقوله عم ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن
لازم المعنى او منقطع لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من
النساء ذوات الازواج حصنهن التزويج او الازواج وقرا الكسائى بكسر الصاد لانهن احصن
فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن
حلايل للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد اصبنا يوم اوطاس ولهن ازواج

ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبى عم فنزلت الاية فاستحللنا هن واياه عنى الفرزدق
بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبنى بها لم تطلق وقال ابو حنيفه لو سبى الزوجات
لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الاية والحديث حجه عليه كتاب الله عليكم مصدر موكد
اى كتب الله عليكم تحريم هولاء كتابا وقرى كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرايض الله عليكم
وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب وقرا حمزة والكسائى وحفص
عن عاصم على البناء للمفعول عطف على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكوره وخص
عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كساير محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم بالصرف
في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز لم تقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل
ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية
على لم المهر لا بد وان تكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح
الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما
استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع
فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر موكد ولا
جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيا به
من نفقة او من مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التى كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت
لما روى انه عم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله
حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة
وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رض ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع
من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المومنات
في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من
لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحراير لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات يعنى
الاماء المومنات وظاهر الاية حجة ان فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة

ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رحمه الله طول المحصنات بان ملك فراشهن على ان النكاح
هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المومنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المومنات ومن
اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المومنة حذرا عن
مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج
والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة
تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء
ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من ادم ودينكم
الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن
ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية واتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن
اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه
فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان
محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر
فاذا احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المومنين وهو
يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الامة لمن خشي العنت
منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر
ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء
وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عم الحرائر صلاح البيت
والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال
~~والاماء هلاكه والله غفور~~ والحرام او خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وان يبين مفعول
يريد واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس
انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله
ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم
ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله

والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات
يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع
له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ و
الاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ميلا عظيما
بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل له يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع
لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان
ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة
النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله
بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه
او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص
التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب وارفق لذوي المروات ويجوز ان
يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة
صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون
التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما تفعله جهلة الهنود او بالقاء النفس الى التهلكة
ويؤيده ما روي ان ابن عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عم او بارتكاب
ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد
بالانفس من كان من اهل دينهم فان المومنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال
الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما
نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس
ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا

ى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس
بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرى بالتشديد من صلّى وبفتح النون من
صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلى
وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه كباير الذنوب
التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرى كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سياتكم نغفر لكم صغايركم ونمحها
عنكم واختلف فى الكباير والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد
فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى عم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله
وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس
الكباير الى سبعماية اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها
فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير حديث النفس وما بينهما وسايط يصدق عليها الامران فمن
عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق
من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه
عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذه عليها وندخلكم مدخلا
كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل
المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال
فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضا بما قسم
الله له وانه تشهى لحصول الشى له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر
وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب
مما اكتسبوا بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن
اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عم ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب
الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله
الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسئلوا الله من فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله

واسئلوا الله مثله من خزاينه التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله
من فضله مما تقربه وتسوقه اليكم ان الله كان بكل شى عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل
عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف
الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون اى ولكل
تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت
جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون
استيناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين
او لكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع
والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالى الموالاة كان
الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد
النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة موكدة
لها والضمير للموالى وقرا الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم
الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ان الله كان على كل شى شهيدا تهديد على منع
نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين
موهبى وكسبى فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء
بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة
والولاية واقامة الشعاير والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب
وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم فى نكاحهن
كالمهر والنفقة روى ان سعد ابن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة
بنت زيد ابن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله عم فشكى فقال عم لتقتص
منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصالحات قانتات

مطيعات لله قائمات لحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما
يجب حفظه فى النفس والمال وعنه عم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا
غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله لحفظ الله اياهن
بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذى حفظ الله لهن عليهم
من المهر والنفقة والقيام لحفظهن والذب عنهن وقرى بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة
فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف
والشفقة على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من
النشز فعظوهن واهجروهن فى المضاجع فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن واضربوهن يعنى ضربا غير مبرح
ولا شاين والامور الثلثة مترتبة ينبغى ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ
والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو
شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم
احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما
لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة
او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا اليهما حاكما من
اشتبه عليكم حالهما ليتبين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا للحكومة والاصلاح من
اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه
الاستحسان فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به
على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق
الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما

١١٦

كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان ارادا الاصلاح يوفق وزوال الشقاق
اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا
بهما احسانا وبذى القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذى القربى الذى قرب
جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرى بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذى لا قرابة له وعنه عم الجيران ثلثة فجار له ثلثة
حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق فى امر حسن
كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل المسافر
او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن
اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدا خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكسائى بالبخل بفتح
الحرفين وهى لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم اخفاء فهم احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن
كان كافرا للنعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت فى طائفة من
اليهود وكانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين
كتموا صفة محمد عم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين
وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما
طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن
يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا
مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم

يحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة
والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر
وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو
توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب
الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر
فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية
الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله
لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره
عظم جزاؤه وان تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة
المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع
على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى
ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما
عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل في
الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد
على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة
الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي
يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى
بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا
يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم
انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك

ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض
وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي
تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا
وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي
بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي
السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو
السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى
كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على
الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة
الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا
اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها
فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رض وقال
ابو حنيفة رض لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي
عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل
قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا تخافون معه من استعمال الماء
فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه بسبب ضعف حركتهم وعجزهم او على
سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغايط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل
الغايط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي
على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية
عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم

ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما
سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات او بالعرض
واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى
او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده
على حجر صلد ومسح به اجزأه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا
التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس
على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين
معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة
يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عم وقيل
ياخذون الرشى ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله ~~نصيرا ينصركم~~
وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فتوكلوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى
لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم
وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم
منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي
يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيرها فيها او يأولونه على ما
يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة
ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت
او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان

لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه
وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نرقبك كلاما يلينا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام
الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابهة لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع
لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب و
التحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما
يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن
خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه
او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة
ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة
وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان
نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء
او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع
ونردها عن الهداية الى الضلالة ~~الضلالة~~ او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ
كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه
او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على
ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد
مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء
او وعيده وما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان
الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو
بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا منه واحسانا

والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه
لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض
لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالاية
كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما تستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى
الفارق بينه وبين ساير الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من
اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله عم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا
كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه
واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم
بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المومنين واصل
التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا
ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون
على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكيا عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا
لا يخفى كونه ماثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد عم وقيل في
حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة تحالفون قريشا على محاربة
رسول الله فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل
اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود وغيره
ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا
وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة
او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد

وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير لهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من
الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان
شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى
انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيا واذا اذا وقع بعد الواو
او الفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ واذا لا يؤتوا على النصب ام
يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد
على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم ونجبهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل
وهما شر الرذايل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب
والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد واتباعه
الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود
من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر
هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما
اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا اي بان
يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق
مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها ولا محذور ان الله كان
عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المومنين ووعدهم
لان الكلام فيهم وذكر المومنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب
فيه ودايما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار
لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى
علي يده واخذ منه وفتح فدخل رسول الله عم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح

ويجعل له السقاية والسدانة فامره الله ان يرد الله فامر عليا بان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك
سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم
وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي
يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو
المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم
وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية
امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل
علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات
فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته
بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون
القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس
ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت
بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر فان الايمان يوجب ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم
بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي عم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهود فلم يرض
بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن

بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عم فحكم لليهود فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى
عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله عم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق
اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فا وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر
لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث
انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام
لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد
والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف
يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من
التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم
وقيل يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما
اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل
اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا
ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني
عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم
او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في انفسهم او
خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم
والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف
ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول
البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن
الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي
لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن

كان هم

الانبطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كافر استوجب القتل ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاوك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق
به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا
وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التايب وان عظم
جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم
متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير الذي
فيه فلا وربك اي فو ربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يومنون لانها تزاد ايضا في الاثبات
كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك
في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم تعرضوا للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في
معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا
بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا
عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا
قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على
قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن
عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عم
ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل
العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق
واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة
كانا يسقيان بها النخل اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عم
اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا
عظيما جواب لسوال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال اذا لو تثبتوا لاتيناهم لان

لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب
الغيب قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب
منازلهم في العلم وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل
المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج
والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا
عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا
مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك
ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهولاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين
في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن
يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون
اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه
واما ان يكون بامارات واقناعات تطمين اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا
في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه
اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله عم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل
جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة
حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى المطيعين من الاجر
ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هولاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله
خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير
الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر
كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات

وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ... لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة

متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه والجمع ايضا على ثبين جبرا لما
حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن تقتضي اطلاق لفظها
وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر
رسول الله عم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ
بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل واللام
الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع
اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة
قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل
من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من كأن
لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم
لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين
وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا
بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض
الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى
في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب
التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل
المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم
المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة

بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز
الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل
والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم
عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد
المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها
على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع
وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل
لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم
خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه عم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم
الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه
الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان
يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة
الى كيده للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا
بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان
يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته
يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل
يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله او اشد خشية عطف عليه اي جعلته حالا او ان

245

جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله
اى كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى
يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم
ما تفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى والآخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شىء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ
بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتداء واينما متصل
بلا تظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور او فى حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت
على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا اظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة
شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية
وهذا المراد فى الآية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك
وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت
اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله
او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط
والقابض هو الله ما اصابك من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان
من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عم ما احد يدخل الجنة الا برحمة
الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها
لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رض ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة
اى يصيبها

246

لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم
ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله
ولا خارجا من فى زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع
الله لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه عم قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد
اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما
عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة
او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا
بيت طائفة منهم غير الذى تقول اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان
الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبنى
لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج والله يكتب ما
يبيتون يثبته فى صحائفهم للمجازاة او جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل
المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما فى شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك
معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر
النظر فى ادبار الشىء ولو كان من عند غير الله اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه
تصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل
ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس للتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال
فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه
كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول بما
اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة
والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه لو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى

اولى الامر منهم الى رايه ورأى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه لعلمه على اى وجه يذكر
الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف
المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه
منهم وعرفوا انه هل يذاع لعلمه ذلك من هولاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى
يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر
والضلال الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى الى الحق والصواب وعصمه
عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور
فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عم
دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون
لم يلو على احد وقرى لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك
الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك
في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم
الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد
لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه
نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب
له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير
الواقع ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها
في القدر وكان الله على كل شئ مقيتا مقتدرا من اقات على الشئ اذا قدر قال وذى ضغن كففت
الضغن عنه وكنت على اسائه مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن
ويحفظ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما فيما يتعلق

واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله عم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله
وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال الله وتلا
الآية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب
السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنها الوجوب على الكفاية وحيث السلام
مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل
او للترديد بين ان يجيب المسلم ببعض التحية وبين ان يجيب بتمامها والتحية في الاصل مصدر حياك
الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام
وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رح
ان الله كان على كل شئ حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر او الله
مبتدا وخبره ليجمعنكم الى يوم القيمة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه
او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس
من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق
من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص
وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم
تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله عم في الخروج الى البدو لاجتواء
المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في
اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة
والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم
كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم
ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم
للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله اى تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون

سواء فتكونون منهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بالهجرة لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كساير الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله عم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا

سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطاء فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطاء او لا يقتله لعلة الا للخطاء او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطاء وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطاء فجزاؤه ما يذكر والخطاء ما لا يضامه القصد الى القتل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا مخفف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر للعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كساير المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله عم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله عن النبي عم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب

عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله
عليما بحاله حكيما فيما امر فى شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن
عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله
وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة انه نزل فى
مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلعم
ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم
يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان
مناسبة الغزو فى تحريم قتل المومن والامر للغزاة بالتثبت
الامر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا
لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان تبتغون
معمول لا تقولوا
عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى
تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن
قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنت
بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان
والاستقامة فى الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا
الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم
وتكريره تاكيدا لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما
به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلعم غزت
اى فلا تتساقطوا
اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق
غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال

ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه
مغتفر لا يستوى القاعدون عن الحرب من المؤمنين فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير
الذى فيه غير اولى الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع
وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل
من القاعدين او الاستثناء منهم
منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف
وانا اعمى فغشى رسول الله صلعم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها ثم
سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل
الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفايدته تذكير
ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون
اى فضيلة فى الاخرة
على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى
التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة
العمل المقتضى لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل
بمعنى اجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا
عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر
كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول
ما خولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم فى الاخرة وقيل
المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون
الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء وقيل المجاهدون
جمع الضرير من الضرر
الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله صلعم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضى

والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائهم فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة
فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة
توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما
وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا
لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة
فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى
الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو
جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب
الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان
شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عم الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد
به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة
فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن
فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق
بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك
الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا
غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل
طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق وفي اظهار
الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان
الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية

والاية نزلت في جندب بن ضمرة حملة بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم
اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع
عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عم اتم في السفر وان
عايشة اعتمرت مع رسول الله عم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وافطرت وصمت فقال احسنت
يا عايشة واوجبه ابو حنيفة رح لقول عمر رض صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم
ولقول عايشة رض اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر فظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر
ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة
برد عندنا وستة عند ابي حنيفة رح وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا
من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في
قوله تع فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على
جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال
والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول
لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تع علم الرسول كيفيتها لياتم الائمة بعده فانهم نواب عنه
فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون ويقوم
الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى
وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم
يحرسونكم يعني النبي عم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة
كما فعله عم ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي
بالاولى ركعة وسط فاما ان يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وياتي الاخرى فيهم

بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله عم بذات الرقاع
وقال ابو حنيفة رض يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة
ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا
حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره
قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا
باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم
في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب
دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ
والتدبير فيتوكلوا على الله تع فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها
كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم
سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء
من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب
في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن
ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير
بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب
ما لا يرجوا عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح
بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية

نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يامر وينهى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا
من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها
عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها
علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله عم فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عم ان يفعل
بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل
ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله
كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها كان وبال خيانتهم
يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له
ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا
مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حايطا
بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا
ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى منه ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبح ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من
رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء
ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة
عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب
الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء
ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا
لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما
يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله

حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا
كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البري
وتبرية النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل
الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير لرسول الله عم وجمعه للتعظيم اوله ولامته
فان عصمة الرسول عم والاطلاع على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك
وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر
اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور
او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم
من متناجيهم كقوله تع واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف
مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما
يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير
ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة
الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الآمر من حيث انه وصلة
اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة
لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا
ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين
له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المومنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها
وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى
رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او

احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا
الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد
الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة
طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله عم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ
عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق
فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد
افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله
ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها فان لكل حي صنما يعبدونه ويسمونه انثى
بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يكبر فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه
عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تونث
من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تع ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه
اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم
وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ
انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن
كاسد واسد واثنا بها على قلب الواو همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا
مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر
ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه
اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه
اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا
اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل

اعلم ان آيات الوعد والوعيد في القرآن متعارضة فتكرار هذه الآية يرجح جانب الوعد والرحمة في ملة الاسلام

عليه بانه عبادة الشيطان وهي اخطر الضلال لثلثة اوجه الاول انه مريد متمكن في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولأضلنهم عن الحق ولأمنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبادة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشاره الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوه ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صوره او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوا اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني موكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة موكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنايه بوعد الله الصادق لاوليايه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال باما نيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل

والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او قولهم ان كان الامر كما يزعم هولاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل واحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كاينة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مومن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مايلا عن ساير الاديان وهو حال عن المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابرهيم عم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز

على انه بطحاء لينة فملأ منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حُوّارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله تعالى فسماه الله خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شئ محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك فى النساء فى ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى النبى عم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما فى القران من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانى زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتداء وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى فى يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم فى شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن فى ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى فى ان تقوموا هذا اى بالعدل

هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة فى شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير فى ذلك وان امراة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل و امراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا اجاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح وكذلك اعترض عدم تجانسهما والاول للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغى اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا فى العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض منه فمجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله عم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمى فيما املك فلا تاخذنى فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى عم من كانت له امراتان و يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه

يغن الله كلا منهما عن الاخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما
مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب
للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر والاخلاص واياكم
عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى
القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم
ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا
في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا
حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع
الخصايص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته
فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشاء يذهبكم ايها الناس يفنيكم ومفعول
يشاء محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين
مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا
ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله صلعم من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما
نزل ضرب رسول الله صلعم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا
كالمجاهدين يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من
جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين
فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا بصيرا
عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين
على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال
ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان

كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او
كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوزوا فيها ميلا
وترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما اولى بهما صلاحا
لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو
جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان
الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني
اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب
الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا
ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس
ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا
عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل
ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا
على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن
الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان
لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا
في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان
انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى
اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة اي يتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز
الا من اعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة

الذين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرئ والقايم مقام فاعله أن إذا سمعتم آيات الله
وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا
كان من يجالسه حاذيا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من
قوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله
يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذاً مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم
او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين
ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة
لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او الاستغناء بالاضافة
الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون
وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتداء
خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب
من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا
عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم
من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم
وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال
فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل
الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو
ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره
على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة
مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يراه عمله وهو يريه استحسانه
ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم
باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم

لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا
يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين
بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر
الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال
الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين
الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا
بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق
او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي
في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا
للمسلمين واما قوله عم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم
من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ
وانما سميت طبقاتها السبع دركات كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك
ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم
واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله
لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت
الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى به
غيظا او يدفع ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب
المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقى
عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا
مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي
الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم جهر من ظلم بالدعاء

على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا اضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت
وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله
وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه
سرا او تعفوا عن سوء لكم المواخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك
رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام
فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويكفروا برسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما
يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل
في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر
لا عبرة بايمانهم حقا مصدر موكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا
كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي تعددا
لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره
بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون
عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف
حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا
ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط
سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك
رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه
منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين
بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول

جهالاتهم

او جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين
له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من
بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات
ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا
ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب
ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم
فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عم وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا
على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم
سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة
للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب
النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه
رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات
الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما
تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات
والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم
بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا
وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى
ثم بمحمد عم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم
رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون
استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على

فقتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب
ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج
ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طططيانوس اليهودي بيتا كان
هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من
من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله و
قصدهم قتل نبيه المويد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه
مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على
من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا
قتلنا عليه ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف
الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله
يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي
تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك
اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن وقد يفسر
الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء
وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما
علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها المعالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء
علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان
الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل
موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود
اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله
قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ ليؤمنن به موتهم بضم النون
لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم

ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل
جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع
الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في
الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا
فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي
فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا
محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن
الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتداء والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان
جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب
وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتداء والخبر
اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر
قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالآية اولئك
سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشرف
الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرء حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور

ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا اوفسره قد قصصناهم عليك من
قبل اي من قبل هذه السوره او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو
منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل ما اعطى
كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا
موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس
ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا
او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه
بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من
امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه
لما تعنتوا عليه بسوال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا
اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يبينه ويعززه بما انزل
اليك من القران المعجز الدال على نبوتك الدال على روي ان الله لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد
لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او
بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم
ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال عن الفاعل وعلى الثالث حال عن المفعول والجملة كالتفسير
لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة
على وجه يستغنى عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال
ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هولاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة
وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان
المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا عليه السلام بانكار
نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه يدل الآية ان الكفار مخاطبون

١٣٠٩

مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره
فهو كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب ولا يستعظمه
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد
من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا
خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم
ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يودي الى حذف الشرط وجوابه
وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع
بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه
وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بان ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها
وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة
والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها
وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه
كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح
ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة
ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات
وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله
واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون
له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا
لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه
ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره

عليك لن يكون عبدا لله من لن يكون عبدا له فان عبودية شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف
في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله عم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا
عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا
بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا
عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح
عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون
عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح
والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار
التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد التكبير فغايته
تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة
على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك
عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم
اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من
فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه
جميعا يوم القيمة يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان
اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد
النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران فاما
الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه
لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود
صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك اي في الكلالة

في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله عم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة
سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع
امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل
الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام
لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع بنت عند عامة العلماء غير ابن
عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن
لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا
تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة
على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة
الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان
كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم
لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا
فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات
عن النبي عم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي
من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي
عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات

والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب
احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع
واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية
والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار
وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم
كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل
من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم
حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا
سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن
يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرايضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء
ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات
القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي
عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع
قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا امين
البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة
في موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف
لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون
من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق
سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المومنين واذا حللتم
فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر
دلالة الامر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف
جدا واحللتم لغة في حل المحرم واحل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم ولا يكسبنكم شنان قوم شدة بغضهم

بغضهم وهو اوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن
نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم
وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرا ابن
كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام
ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله
منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام
واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة
ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية
يصبونه في امعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به
كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو
خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت وما
اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطاد
لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص
بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب
وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وقيل هي جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح
وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني
ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل
اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم
فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان
ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم
او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة

الآتية وقيل اراد بيوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا
من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيره او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم
ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان
كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي
بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة او هدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام
اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة
كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال
معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية
لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم
كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع
السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على
حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم
وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع
ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال وطرق التأديب فان العلم به الهام من الله او
مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه
وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو
ما لم يأكل منه لقوله عم لعدي بن حاتم وان اكل فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر
الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون
لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما

امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم
بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح و
غيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رض نصارى بني تغلب وقال
ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في
التقرير على الجزية لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم
حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات اي
الحرائر والعفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل
بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح
غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به
انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد
العبادة ينبغي له ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى
الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع
على خلافه لما روي انه عم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته وقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه
للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم
الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى
قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد
ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما
دخولها في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي
متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا

لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القران والشعر كقوله عذاب يوم اليم وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اى ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير الذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتيهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود

عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم فى شكره وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله فى انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما فى قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المومنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمومنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روى ان المشركين راوا رسول الله عم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر يصلون معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عم اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله عم منزلا وعلق

١٤٠

سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقط جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا

وكتمان صفة محمد عم وفي اللعن وجوه احدها اخرجناهم من رحمتنا والثاني مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير والثالث قال ابن عباس ضربنا الجزية عليهم

حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزالت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود رض قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم تضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبيل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومود الى الله لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد

ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياعه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك لا تعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا ما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عم اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وستون واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى

يحيى عم وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المومنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا تتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكرة ويخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين اي مومنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره

قال يا رب لم اردت اهلاك ما خرج ملدين الا سمين من بني اسرائيل لان من اهلك عبيده بجريمة واحدة لا تكون رحمانا ولا رحيما فقال الله يا ارض خلي عنه تخلت عنه من كشف الحقائق

اذهب انت وربك بعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عم والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عم سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام بها ما شاء ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امرهم بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع عليهم بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان توأمه كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او

من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردى قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري من هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه قوله عم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي اثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته

ولـه للزيادة الربط كقولك حفظت لزيد مالة فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي
مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء
قيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني
آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه
في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي
يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتي كلمة جزع و
تحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل و
الويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى
ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على
قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب
واسوداد لونه وتبرء ابويه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرء عنه ومكث بعد ذلك مائة
سنة لا تضحك وعدم الظفر بما فعله لاجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا
عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من
جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية
متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل
نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما
قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرى الناس عليه او من حيث
ان قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض
اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها

في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال
تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها
كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون اولياءهما وهم المسلمون
جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة
باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة والمصدر
لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب
ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه
يقتل او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى
وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من
القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس في قاطع طريق ذلك لهم خزي
في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تع ويدل عليه قوله تع فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل
قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على
انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان سقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك
تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا
تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة
والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من
صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام
متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان
اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تع عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله معه بمعنى مع

ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم
الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرى يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل
وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما
يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها
معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرى بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء
لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير بالخفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز
والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عم القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك
للحادث وردت في ذلك وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده
قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء
بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور
على انه الرسغ لانه عم اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول
له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اى سرقته
واصلح امره بالتقصى عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور
رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق
منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبى او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر
لمن يشاء والله على كل شئ قدير قدم التعذيب على المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق
التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اى صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل
الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر مبتدا
محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان تكون مبتداء ومن
الذين خبره اى من اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع

معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك
ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا
عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك
لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى للتاكيد اى سماعون ليكذبوا
لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله
او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه
فاحذروا اى فاحذروا قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسئلوا رسول الله عم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم
فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال
له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون
والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال
خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله عم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد
الله فتنته ضلالته وفضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزى هوان
بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا
ان استانف بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت
اى الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقراه ابن كثير وابو عمرو والكسائى
ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله عم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو
تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او
احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابى حنيفة
يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس

وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم
شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوريه فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال
ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق
واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله
حال من التوريه ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها
نظيرة الموثث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق
لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم
عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوريه فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف
ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع
من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين
مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم
للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياءهم والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا
الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير
ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما
انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون
كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملايمة لها او لطايفة كما
قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم
فرضنا عليهم فيها في التوريه ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار
المعنى فكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين لان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل

على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن
مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس
وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص
اي ذات قصاص وقراه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد
التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق
يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني فيسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالتصدق كفارته التي
يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون
وقفينا على اثارهم اي واتبعناهم على اثارهم فحذف المفعول به لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين
بعيسى بن مريم مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التوريه واتيناه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوريه عطف عليه
وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به
وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي
واتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل مشتمل
على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عم وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل
الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوريه خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القران مصدقا لما
بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاول للعهد والثاني للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا
على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه
وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تع او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك
ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف
او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريق
الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا
واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم

امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ و تحويل ومفعول لو شاء
محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل يعملون بها مذعنين لها
لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام يزيغون عن الحق ويفرطون في العمل فاستبقوا
الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا
استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون بالجزاء الفاصل بين الحق والباطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف
على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على اى انزلنا بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون
جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اى بان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم
او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى
الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا
اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله عم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما
يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم
ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمته واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير
ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون
في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية
الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله عم
ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتداء ويبغون خبره
والراجع محذوف حذفه في الصلة كما في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير
الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقرأ ابن عامر
بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان
كما في قوله هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون

الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء
الى علة النهي اى فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم
ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم فانه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال
عليه السلام لا تتراءى ناراهما اولان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين
اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن
ابي واضرابه يسارعون فيهم اى في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون
بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى
ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله عم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ
الى الله ورسوله من موالاتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ
من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر
من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اى هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك
في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم
وحمزة والكسائي على انه كلام مبتداء ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير
واو على انه جواب قايل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب
عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله
بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله
ان ياتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم
من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم
لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا
بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على

المصدر ولانه معنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلعم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلعم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله صلعم الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلعم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه صلعم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه صلعم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد اراده الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له اراده طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المومنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين

مطلب نامه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب

المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الموالاة لله على الاصالة ولرسوله والمومنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء فانهم حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن

الصواب كاهل الكتاب او من لم يكن كالمشركين واتقوا الله المعاصي ان كنتم مؤمنين لان الايمان يقتضي
ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا
الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا
سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة
بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه
يودي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون
منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان
آمنا بالله وما انزل الينا من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان
آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا
الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما
اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون
الا لما منا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم
فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله عم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل
الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل
انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير
كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي
بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم
اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ
بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين
في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا
عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون

فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كيقظ
ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة
عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل
وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين
في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله عم او في عامة المنافقين وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان
من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول
يظنه ولذلك قال والله اعلم بما يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود والمنافقين
يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي
وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة
لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت
تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل
افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع
عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح
من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ
الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل
والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى
بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل
وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى
في الدنيا ومسحبين الى النار في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك

سبحانه بسط الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود
اي قطعه لان الدابر اصله القطع
فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج
وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب
مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما
بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص
ابن عازوراء قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عم واشرك
فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون
كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح
للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب رسول الله عم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة
بالهزيمة
كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت
نصر ثم افسدوا فسلط عليهم بطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم
المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم
في الكيد واثارة الحرب وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب
امنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم اي التي فعلوها ولم
نؤاخذهم بذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والعمل باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب
المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او يكثر ثمرات الاشجار وغلة الزروع او
يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف
عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم
خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد عم وقيل مقتصدة متوسطة
في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة

المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك جميع ما انزل غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل فان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس عدة وضمان
من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم
مما يريدون بك وعن النبي عم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله ان لم تبلغ رسالاتي
عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضه كان رسول الله عم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه
من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس فظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار
الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه
باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان
لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة بوجوب
الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان
ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير
عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله
اسم ان وخبره
فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل
اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك
به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان
والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما
وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز
اي نحن راضون
عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان
معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين

هودا او قيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابيون منصوب
بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع
بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر
والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم
صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا
اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من
الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع
محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية واستحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم
ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل
ان لا تصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع
على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل
له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلائل الذي
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم
عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة
الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او
خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقدم الخبر
في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله
عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة
للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا

ثم عموا وصموا كثير منهم زمن محمد بان انكروه وانما قال كثير منهم لان جمعا منهم امنوا كعبد الله بن سلام

ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل لان يكون تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها
على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا الى الله وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القايلون
بالاقانيم الثلثة وما سبق في قول اليعقوبية القايلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في
الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية
متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم
تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله
افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من
فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيا
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب
وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان
الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما
الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا
من عداد المركبات الكاينة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة
فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت
ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر
الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية
لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة يقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل
عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد
فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا

حتى رفعوا عيسى الى ان تدعوا اله الالهية وتضعوه حتى زعموا انه ابن الله بغير رشوة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عم في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عم ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى

الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تاتيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاول للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي واي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطية وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله عم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القران فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله عم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل

وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله عم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في
انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صايمين قايمين وان
لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا
المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عم فقال لهم اني لم او مر بذلك
ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل
اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا
ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة
ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول والعايد المحذوف
او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فايدة زايدة
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد
كقول الرجل لا والله بلى والله واليه ذهب الامام الشافعي رح وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك
ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رح وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم
بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه
اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو
عندنا خلافا للحنفية لقوله عم من حلف على يمين وراى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه وليات
الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف
تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون
كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل
كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من
اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم

بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا
تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم
او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة
ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رح فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ
ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم
واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها
خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه لعلكم
تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها
الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيره
في اوايل السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او
كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير
للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تع اكد تحريم الخمر
والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا من عمل
الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله
سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم
فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود
بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب
الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد
عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير
بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه

في التقوى

او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في المرة الثالثة اشارة الى ما قال عم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا له عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظايم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف عن عقابه وهو غايب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويويده قوله عم خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من

من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبايح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا يكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك واب في والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول ادخل يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته وردعته بخبر مقدار السن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع يتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عندنا انه يقوم النظير ثم يشتري بالقيمة طعاما فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل

مسكين او ما هو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الجمل وذلك اشارة الى الطعام وصيامًا تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اى فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرمًا في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ممن ينتقم الله وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العايد كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه أحل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل لحل السمك وما يوكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعًا لكم تمتيعًا لكم نصب على الغرض وللسيارة اى ولسيارتكم يتزودونه قديدًا وحرم عليكم صيد البر اى ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضًا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او لم يصد لكم ما دمتم حرمًا اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها او انما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قيامًا للناس انتعاشًا لهم اى سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخايف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيمًا على انه مصدر على فعل كالشبع أعل عينه بما أعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرانه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار وجلب المنافع المرتبة عليه دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اى الرسول

١٠٠

اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرًا في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اى فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلب لامه فجعل لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع شيء على ان اصله شيء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله عم حتى اعاد ثلاثًا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رض انه عم كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالًا منها ولا خبرًا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودًا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى

شققوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سايبة و
يجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وان اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا
ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ومعنى ما جعل ما شرع ووضع كذلك ويعدى الى مفعول
واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه
واكثرهم لا يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان
منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم
وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا
جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة يا ايها الذين
آمنوا عليكم انفسكم احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك
نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا
كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عم من راى منكم منكرا و
استطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية
نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم
قالوا سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم
والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة
وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يواخذ
بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد
واضافها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم
الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه

على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون
خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان
او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته
على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت
اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة الآخران والشرط بجوابه المحذوف
المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان
منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة
الليل وملائكة النهار وقيل اى صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم
لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى
لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا بالطمع ولو كان ذا قربى
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اى
الشهادة التي امر الله باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اى
ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان
اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل
وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او
آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على
انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح
والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها
واولى ان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل
موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد
عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر

فاخران من غير علم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان

اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اوليا الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان

شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين

ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او

لتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الداري وعدي بن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ

نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون

ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات

ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله

الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عم فنزلت يا ايها الذين آمنوا فحلفهما

رسول الله عم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم

في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله عم

فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب ابن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل

تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة

على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي ترد اليمين

على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم

الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم

يتقوا ولم يسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة والى طريق الجنة

فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا

على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم

اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع نصب او باي شيء اجبتم بحذف الجار وهذا السؤال للتوبيخ

قومهم كما ان سؤال الموؤدة لسؤال الوايد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلم انك انت

علام الغيوب فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الامر

الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم له

للخاتمة وقرى علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة

وعلام

وعلام نصب على الاختصاص والنداء وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث

وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع

وهو على طريقة نادى اصحاب الجنة والمعنى انه تع يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن

اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم

آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرى آيدتك

بروح القدس بجبريل عم او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية وتطهر من الآثام

ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة و

الكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل

على انه سينزل عم فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل

واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه

والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرا نافع

ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود

حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين

اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عم واذ

اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان

مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون

يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم

هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة

وقيل هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع

ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك

ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام

من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من يقدم اليه ونظيرها قولهم مطعمة

قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم

في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان
يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
ونعلم ان قد صدقتنا ادعاء في النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من
اي المائدة
الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال
عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون فاراد الزامهم
الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها
عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العايد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على
جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا
وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها
اي اية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها
وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا غرض قال الله اني
منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا
ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما
يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا
فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء
بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها عذابا ومثلة وعقوبة ثم
قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسمها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من
الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته

كلوا

كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه
الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما وغبا
يجتمع عليه الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت و
هم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض
ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عم ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء و
الاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعدهم انزالها
بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي
المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء
الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا ~~غذاء البدن~~ فلعل الحال انهم راغبوا في حقايق
لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى
تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسال لاجل الزامهم فبين
الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى
من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن
مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة و
تبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون
فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما و
لم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا
ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا
الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان
اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه
عن معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت

غبا
اي يوما بعد يوم
اي جاء وقت الزوال

اي الزام

علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر وكان مثل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشي وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الايات وانت على كل شي شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شي

شي قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل تنبيها على غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي عليه السلام من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول ان احداث الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وافراد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شي منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر

خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من ضرعها وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تع وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تع لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا يتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات القران الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القران وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فايق في العلم عالم قلت المدة او

كثرت

١٦٠

والريف

كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم تغن ذلك عنهم شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم والمعنى انه تع كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله تع وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله تع لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع لما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلناه قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلا لام وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم

قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال
كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك
ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن
ما في السموت والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين
للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا
والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال
الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم
النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في القيمة والى
بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه
في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل
السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر
فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع
الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع
على الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في
قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي
ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين على الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم
فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا
انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن
دعاه الى الشرك فاطر السموت والارض مبدعهما وعن ابن عباس رض ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني
اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي و
لذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك
بمن هو فاطر السموت والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على الثاني من اطعم بمعنى استطعم

او

١٦١

او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان
النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ
اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ
باظهاره والمفعول محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي
الظفر او الرحم وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك
بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا
راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم اي في امره وتدبيره
الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد لقد سألنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله و
الشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد
بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه اذا كان الشهيد كان اكبر شيء
شهادة واوحي الي هذا القران لانذركم به اي بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر ومن الثقلين او لانذركم
ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران يعم الموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار و
استبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء
مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية
والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله او كذب باياته كانوا كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين
تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا

ثم لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى
اى الهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمون
انهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوها
فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن
فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا
خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم
تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث
للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه
مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه
ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها وحمله على
كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا
حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع
اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا
رسول الله صلعم يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير
الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفى اذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى
هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق
الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر و
يجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط
وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن
التعرض لرسول صلعم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما
يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون

على النار

على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرى وقفوا على البناء للفاعل
من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف
كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى
حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان
بعد الواو واجراؤها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا
ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه
من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على
انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة
وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه
وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قايل
قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب
والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا
العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان
خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعالى
فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها فى الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة
يعنى فى شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام الا ساء ما يزرون ن
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس و
يشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير
للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين
لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اى الامرين خير وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم
ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين وتغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون
معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء فى انه للشان وقرى ليحزنك من احزن
اعطى

فانهم لا يكذبونك فى الحقيقة وقرا نافع والكسائى لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بايات الله ويكذبونه فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على انهم ظلموا بجحودهم او جحد والتنبيه على الظلم والابا لتضمن الجحود معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما
نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم
فيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفى تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأسّ
بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايما بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبا المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان
كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغى نفقا
فى الارض او سلما فى السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به
الى السماء فتنزل منها اية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى
او حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه
البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيته فلا تتهالك
عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن
من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون
انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون
والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه
اى اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر
على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره
وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة فى الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه فى الهوا
وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها
واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على
ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا فى الكتاب من شىء يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى
العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين
مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشىء فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى وقرى
ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم فينصف بعضها من بعض كما روى انه ياخذ للجماء من
القرناء وعن ابن عباس رض حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبية

تجيب

تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه
فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعدى الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم فى الاية ان يقال
ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتيكم
عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت
لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء
كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اى ما تدعونه الى
كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء فى الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم فى ذلك
الوقت لما ركز فى العقول على انه القادر على كشف العذاب دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن زايدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين
فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما
لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم
فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك
على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التى زينها الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب
كل شىء من انواع النعم مزاوجة عليهم بين نوبتى الضراء والباساء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر
فتحنا بالتشديد فى جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا
اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يتزيدوا عن البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم
احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما يزول به عقلكم وفهمكم
من اله غير الله ياتيكم به اى بذاك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة

من جهة التنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد
تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها
امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب
الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين
المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح
ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا
باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه
عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى
خزائن الله مقدوراته وخزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من
جملة المقول ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع
الا ما يوحى الى اتبرأ عن دعوى الالوهية او الملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا
لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى
او الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية او الملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا
تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما
لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون
المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار
ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من
يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكى يتقوا ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشى بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم
وان لا يطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين
كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا
فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روى ان عمر رض قال له لو فعلت حتى تنظر الى ماذا يصيرون فدعا
بالصحيفة وبعلى رض ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلوة الصبح

والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم
لا ابعادهم ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء اى ليس عليك حساب
ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو آمنوا وليس عليك
اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره
المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك
اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ
بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو
جواب النفى فتكون من الظالمين جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب
وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور
الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية
والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار
لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام
للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان
والشكر فيوفقه ومن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله
ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل
ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة
فى الآخرة وقيل ان قوما جاءوا الى النبى عم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا
فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
ويعقوب بالفتح على البدل من الرحمة بجهالة فى موضع الحال اى عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من
المضار والمفاسد فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من

افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا
يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اى فامره او
فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات ايات القران فى صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قراه نافع
بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا
هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى
ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويونث ويجوز
ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الايات ليظهر الحق وليستبين قل انى نهيت صرفت
وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل علىّ من الايات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون
من دون الله عن عبادة ما تدعون من دون الله ما تدعونها الهة اى تسمونها قل لا اتبع اهواءكم
تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان
لمبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد
ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اى فى شىء من الهدى حتى
ثم نبه على ما يجب اتباعه
اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا
اى على بيان وبصيرة وبرهان
يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحى
او الحجج العقلية او ما يعمها من ربى من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به
الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به
يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا
لله فى تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اى القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع
اى يقضى القضاء الحق
اى صنعها فيما يقضى من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه
منع الباطل وقراه ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين
اى يتبين
قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين فى معنى الاستدراك كانه قال ولكن
الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغى ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن

او ما يتوصل

او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتيح الذى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ
مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتاخيرها
من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها
ويعلم ما فى البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات
به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة فى ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا فى كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل
الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل
من ورقة او رفعا للابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز فان اصله
قبض الشىء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد
ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفى فيه فى النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله
المسمى له فى الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة و
المعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون الاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى
شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه
لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق
عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم
ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده
واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتوانى و
التاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه
مولاهم الذى يتولى امرهم الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ
لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعير الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول والبطال

الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب ومن الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي

ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقران وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يابا ولا على شيء لذلك ولان من لا يزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة

لمساءتهم

ولا تحتمل نفرتهم

لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الصنم وتحريم البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام عليك ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الشياطين والجن في المهامه

هلاك

استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين الذي استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية المفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي

زايدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل
وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا
كان امر الرسول ام بهذا القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى
اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموت والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول
كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى
انه الخالق للسموت والارض قوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات
او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين
يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم
القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية
واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له
كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى
حمل على موازنه او نعت مشتق من الآزر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم
صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره
ما بعده اى تعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه ان قرئ ءازرا تتخذ اصناما
بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك
فى ضلال من الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال
ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموت والارض
ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من
الموقنين اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا
يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر و
الاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل

الوضع

الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم
فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما رأى القمر بازغا
مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين
استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا للقوم و
تنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية فان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر
كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى
دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموت والارض حنيفا وما انا من
المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه
فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته
وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف
معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها
جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة
الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بهم مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا
بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم لا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله
وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار
النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن
اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا او انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق
ان يخاف منه وما ينبغى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف
منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك
على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم على نفسه فقال عم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك

بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك
وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم ع على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون
او من قوله اتحاجونى الاية حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق
بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء
فى العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال
من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا
من قبل اى من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى
الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا
من ذرية ابرهيم ع ولو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الاية والتى بعدها
والمذكورون فى الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ابن اموص
من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين اى ونجزى
المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى
هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية يتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح
فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى كل من الصالحين
الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسمعيل واليسع هو اليسع بن
اخطوب وقرا حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد
فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى
ولوطا هو هاران بن اخى ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على
من عداهم من الخلق ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطفا على كلا او نوحا اى فضلنا كلا
منهم او هدينا هؤلاء وبعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا
مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان
ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده دليل على
انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط

هو ابن حاران بن تارخ هو ماهان ابن تارخ

عنهم

عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان
يكفر بها اى بهذه الثلثة هؤلاء يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها
بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى ع او كل
من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم
فبهديهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهديهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين
دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى بهم جميعا فليس فيه
دليل على انه ع متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة
كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية عن
المصدر قل لا اسئلكم عليه اى على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلى من النبيين
وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا
وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شئ حين انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظايم رحمته وجلايل
نعمته او فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود
قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب
الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على ما قالوا وما قدروا الله وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم
للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه
روى ان مالك بن صيف قاله لما اغضبه الرسول ع بقوله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل
تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان
من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
وعلمتم على لسان محمد ع ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين
كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن

جهلهم نخ

من قريش قل الله اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم
بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم فى خوضهم فى باطلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من
هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاول
وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذى بين يديه يعنى التورية او الكتب التى قبله ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علة لمحذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت
مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجتهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او
لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق و
الغرب والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا
يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالكتاب والنبى عليه السلام ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها
عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق
عليه احكاما كعمرو بن لحيى ومتابعيه او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء كعبد الله بن سعيد بن ابى سرح كان يكتب لرسول
الله صلعم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله
احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو
نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين فى غمرات الموت
شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملئكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى المسلط او بالعذاب
اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوا الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من
العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له
تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته و
تمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن
اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن
الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم

اول

اول مرة بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او
حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا
اى مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت
جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع
والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار
الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم بطل و
ضاع ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة يخرج الحى يريد به ما ينمو من الحيوان
والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى ومخرج
ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان
له ذلكم الله اى ذلكم المحيى والمميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى
يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق
بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب فى النهار لاستراحته فيه من سكن
اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه
فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك
قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا
على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر
محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة تحسب الاوقات بها ويكونان علمى
الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب
وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى

فدبرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذى
جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها
بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
به وهو الذى انشاكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار
فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع و
قرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان
الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء اى من
السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شىء نبت كل صنف
من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفننة بماء واحد كما فى قوله يسقى بماء واحد و
نفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر و
خضر كاعور وعور وهو خارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن
النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شىء من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان
وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ
ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر
على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف
على نبات كل شىء وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز
عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على
الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اى بعض
ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اى ثمر كل واحد من ذلك

وقرا

التفضيل نوع نوع شرح

شيئا كله

١٧٠

وقرا حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو
فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان فى ذلكم
لايات لقوم يؤمنون اى لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع
المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه
حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك
به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات
الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا
الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل
ضار كما هو راى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن من شركاء او شركاء الجن ولله
متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة
للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من
يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء
اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له فافتعلوا وافتروا له وقرا نافع بتشديد
الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة
ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق
الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او
كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله
او ضمير الشان وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى
الاول وفى الاية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان مبدعات السموات والارضون وهى

منها

مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او ان ولد الشئ نظيره ولا نظير له فلا ولد له والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تع منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتداء الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح ماربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدلت المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الاية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عم وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا او جاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة

بالدراسة ودرس

بالدراسة ودرسن اى عفون ودرسن اى درس محمد عم ودارسات اى قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه واللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال موكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى ارائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تع لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامرهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عم كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يودى الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر فى موضع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول فى طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتى وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اى الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على انه تع انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون

يجي الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة بالتاء وقرى وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرى ويقلب ويذرهم على الغيبة ويقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا باباءنا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل بما بشروا به وانذروا به او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشية الله بايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء والزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يوكد

لم يوكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن ساير الايات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مومنوا اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها او يبدل احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحاير او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب

الظاهر في مثل ذكر او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يُضِلّ اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المعدّى او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرّم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فُصّل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرّم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليُضِلّون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يُسَرّ او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة العمد والنسيان واوّله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميْتا على الاصل كمن

كمن مثله صفته وهو مبتدأ وخبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك زين للمؤمن من ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيّرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرِجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصّعّد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه على ان الايمان يمتنع عنه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا

عن الحق وتباعد اي الهرب منه واصل يصّعّد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يَصْعَد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشاره الى البيان الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا او حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او يقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم او ذات مثويكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثويكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن

هذا من بقية توبيخ الكفار يوم القيامة بين انهم لا يكون لهم الى الجحود سبيل ويشهدون انهم لا يعذبون الا بالحجة والمعشر جماعة بينهم معاشرة

لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشاء يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشاء يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كتب علي من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها

هذه الدار محلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف
تعرفون الذي له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق
المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون
وضع الظالمون موضع الكافرون لانه اعم واكثر فايدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرا خلق
من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى
الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيا من حرث ونتاج لله ويصرفونه
الى الضيفان والمساكين وشيا منهما لالهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما
عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه
على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا
الزكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد جاء بالكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين
في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من
السدنة وهو فاعل وقرا ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد
وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات
الشعر كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزادة وقرى بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم
باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشيطان
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين
او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترون من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما
لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرى
حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم
من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر
لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار

والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون
هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال
لذكورنا خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور
والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في
رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء
فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرى بالنصب على انه
مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور
لانه لا يتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرى خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع
والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان
المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم
والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد
بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد
بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او
المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات مرفوعات
على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه
وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه
او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه متشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه
بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فايدته
رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به
يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية
والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يوخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب

بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حِصاده بالكسر وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم
ومن الانعام حمولةً وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما
يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من
الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات
الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل
حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة
او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان
اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز
اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز
كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضان وذكر المعز
حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين اي ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على
ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى
انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله
حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو
بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما
اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى
محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير

وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة
وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم
في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة
او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له
موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل
وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة
الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه
والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غيره هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم
في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي
مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما
او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين
وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص
ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار والوعد والوعيد فان
كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه
عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة على المطيعين وذو باس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا
يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول
الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا
نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرتضى عند الله لا الاعتذار من ارتكاب هذه
القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين
من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا

على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل
عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن
ما تتبعون فى ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن
سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة
التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد
كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء
هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل
يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون
فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان
هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعنى
قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد
الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده
فان تسليمه موافقة لهم فى الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر
للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون
بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالى واصله ان يقوله
من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما يحتمل
الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اى
شئ حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا تشركوا به اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه
تعلق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها
النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول
وبالوالدين احسانا اى واحسنوا بهم احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة
على ان ترك الاساءة فى شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر

فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله
واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو
مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم
المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو
الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن الا بالفعلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى
يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك
واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا
يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو
عنكم واذا قلتم فى حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوى
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم
به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطى مستقيما الاشارة الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها
فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستيناف وابن عامر
ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بها مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن
عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل الاديان
المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع
والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ذلكم
الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم
وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذى
احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذى احسن تبليغه وهو موسى
او تماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على
انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وبيانا مفصلا لكل
ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بنى اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اى بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك كثير النفع

فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة
لانزلناه انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما
لان الباقي المشهور من الكتب حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة
ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا
نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا
وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون
فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن
كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل
واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم
او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم
لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي
بالياء او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل اية يعني ايات القيمة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض
ايات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف
رسول الله عم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي
بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ
تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المونث لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت في
ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او
مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر
تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع
نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ
وان كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا

منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض
وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية
الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق
امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقرئ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا
شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او
انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا
من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وسبعماية وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني
صراطا كقوله صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من
ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام
ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان
صلوتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت
عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة او الخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى
الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او
الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله
ابغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعايهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال
في موضع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية
ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة

ورز اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يبين الرشد من الغي ويميز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم
خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام
او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمومنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف
والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه
يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة
وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تع غفور بالذات
معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله عم
انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من
سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله واسئلهم الى
قوله واذ نتقنا محكم كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق

الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل
اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه
مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا أرينك ههنا
والفاء يحتمل العطف والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك
لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا
لم يخشهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمومنين يحتمل النصب باضمار فعلها
اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب
او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعني القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما
انزل اي ولا تتبعوا من دون الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا او زمانا

زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت
مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء
وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي عم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها
اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم
لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف
واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه
غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت
دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيه افظع فما كان دعويهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا
يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا
به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين
يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن
الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق
اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسئلهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويويده
ما روي ان الرجل يوتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا مد البصر فتخرج له بطاقة فيها
كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل
توزن الاشخاص لما روي عنه عم انه لياتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة
يومئذ خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه
حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او
ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون
فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم

فيها معايش اسبابا تعيشون جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زايدة كصحايف قليلا ما
تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل
خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم موكدة معنى
الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشىء مضطر
الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور
قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه
قيل المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يومر به فهو الذى سن
التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه
وقد غلط فى ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه
بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت
فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما
بين لهم انه اعلم منهم وانه له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين
كانية ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال
فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع
وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه
فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر
وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى قال انك
من المنظرين تقتضى الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت
المعلوم وهو النفخة الاولى ووقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد
وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى
طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغى او تكليفا بما غويت لاجله

لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء
للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه
على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر
والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات الاربع
مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع
ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من
تحتهم لان الاتيان به يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون
ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة يتيسر
لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين
بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار
على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه لما راى مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال
اخرج منها مذؤوما من ذامه اذا ذمه وقرى مذوما كمسول فى مسؤول او كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه
ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطية القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد
مسد جواب الشرط وقرى بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة
لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اى وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرى هذى الشجرة وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل
الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى
الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلى وقد سبق فى البقرة كيفية وسوسته
ليبدى لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك
عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح
مستهجن فى الطباع ما ووری عنهما من سوآتهما ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما

ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلب في أُويصل تصغير
واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام
الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او
تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء
وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة
من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك وانما اخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل
اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية
والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا
لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا
طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت
لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او
حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة
قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف
ويخصفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق
النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعرض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغاير يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة
لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما
ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال
اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تقضى آجالكم قال فيها

فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد
يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا
يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة
آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه
اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه
تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله
وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك
خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله
ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما
منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما حال من ابويكم او فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم
في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود
القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة
في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء
على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته
جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى
ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما تنفر عنه الطبع ويستنقصه العقل المستقيم
وقيل هما جوابا سوالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا

فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين منع التقليد اذا قام الدليل

على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل

امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم

وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد

في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا

الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما

انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقرير الامكانها

والقدرة عليها وقيل بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون

وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة

بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين

اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على الكافر المخطي

والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان حمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم

لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الانسان احسن هيئة للصلوة وفيه

دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم

كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا

تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل

ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة فقال علي بن الحسين بن واقد جمع

الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من

حرم زينة الله من الثياب وساير ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان

كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه

دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل

هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم

فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا

هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق

بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب

الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي موكد له معنى وان تشركوا بالله

ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما

لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول

العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون

ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم

لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه

على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتأكيد معنى الشرط

ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا

واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين

كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم

ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم

من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم

رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها

الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اي الآلهة التي كنتم تعبدونها وما

وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا

على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله

لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة

من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار

لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت

اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء

اضلونا سنوا لنا الضلال فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا

قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم

اوما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولیهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل
عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا و
اياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول
القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح
لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به
وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء
على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي
حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل
والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم
بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال
عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم
مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته تع في ان يشفع
الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم
المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم
اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما
جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هدايته وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا
محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا
بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه في الدنيا صار لهم عين اليقين

اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات
اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها
معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة
والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما
وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور
بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين
مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني
والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما
حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى
الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من
عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين
قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
او الشهداء او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلا من سام ابله اذا ارسلها
في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو
على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من
رؤساء الكفرة ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ
تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة
الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا

الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه
الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون
الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرى ادخِلوا او دَخَلوا على الاستيناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من ساير الاشربة ليلايم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن
المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن
ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار كما نسوا
لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من
عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ
مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تع عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون
حالا من المفعول وقرى فضلناه اى على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يومنون
حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما انطق
به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسين قد جاءت رسل
ربنا بالحق اى قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل
نرد الى الدنيا وقرى بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى لم فنعمل الاول المسؤل احد
الامرين وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذى كنا
نعمل جواب الاستفهام الثانى وقرى بالرفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم فى الكفر
وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع
الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل
للاختيار واعتبار النظار وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى
وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تع بلا كيف والمعنى ان له تع استواء على العرش على الوجه

الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمى به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه
ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرى يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار
وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا
يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شىء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال
من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه
ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء
والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية
فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم
ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تع لانه الذى له الخلق والامر فانه تع خلق العالم على ترتيب قويم
وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات فى يومين
وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها
بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل
فى يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله
وخلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى
مع اليومين الاولين لقوله فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة
ايام ثم لما تم عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض
بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا
ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين
ما امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود
الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى عم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء
وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها
من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث

الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع
في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما
يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه
بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره
وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر
وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر
جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته
قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا
اقلت حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب جمع
بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه
وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل
فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره
فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى
احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النباتية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج
نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه
في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير
الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا
مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان
للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية
مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب

قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها
توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين
سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي
غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا
وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف
فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء
من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك
باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم
رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة
اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما وعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة
بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم
وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او
من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا
في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى
وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من فضل الله وان المتقي ينبغي ان لا
يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين
رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث وسبعة ممن آمن به في الفلك متعلق
بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا
قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات
والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم
فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن
شالخ بن ارفخشد بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف به ولم يعطف كانه جواب سايل قال فما قال لهم حين
ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ
الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنريك في سفاهة متمكنا في خفة
عقل وراسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة و
لكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم
كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه
على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم
ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم
بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم
ذكر النعم الى شكرها المودي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا
اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في
اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او عن السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني
فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم
قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عقاب من الارتجاس وهو
الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها
لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام
تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهار لغاية جهالتهم
وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم
والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون
على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مومنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق

الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه
وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم
اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عتر ومرثد
بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده
شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم عما بعثوا له اهمه ذكروا واستحيى ان يكلمهم
فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله
لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن
معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر
لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه
فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود
ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل
الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح
بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم اية استيناف
لبيانها واية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له اية ويجوز ان تكون ناقة
الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في اية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده
بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت اية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء
نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم
عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون
من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر ونحوهما

الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او
المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان
للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا
به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي
راي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به
كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا
الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر
ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عم بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما
تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين روي انهم بعد عاد عمروا
بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم
صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى
عيدنا فندعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم
ثم اشار سيدهم جندع ابن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه
الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن
فعلت لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب
اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلي اوانيهم ويشربون ويدخرون وكانت تصيف
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك

عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه
الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم
كما خاطب رسول الله عم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما
وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت
قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى
لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا
باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان
لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف
وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة بل انتم قوم
مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه
بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون
جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء
بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امراته واهله
فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام

نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا
عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم
والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر
بن مدين وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ما هى وما روى من محاربة
عصا موسى التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى
او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش
على المعاش لقوله والميزان كما قال فى سورة هود او فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان
يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال
اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا
مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما
اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل
مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية
اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف
وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى فى شىء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد
فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل كانوا
يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر
بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به
اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون
لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موضع الحال من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا
وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا

فقليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة فى النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يومنوا فاصبروا
فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما
اخراجكم عن القرية او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر
مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله
قال اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او انعيد ونحن على حال كراهتنا قد
افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد
لتقربه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا
وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره
والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا و
ارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيته وقيل اراد حسم طمعهم فى العود بالتعليق على ما لا يكون
وسع ربنا كل شىء علما اى احاط علمه بكل شىء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا فى ان يثبتنا
على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا وبينهم ويتميز
المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين
كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم
او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطا باللام
فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا
فى دارهم جاثمين اى فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها اى استوصلوا
كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين
صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول

واستأنف الجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت
لكم قاله تاسفا بهم لشدة جزعه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين
ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه
عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا
قولى فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها
بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يتضرعون كى يتضرعوا وينيبوا ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء
لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا
قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر
يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة
وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا
فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ
ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى افامن
اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك
امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو فى الاصل مصدر
بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر
فى بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم
بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة
او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج
العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر
والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم
وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم
بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف

على ما دل عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه
على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقه جواب لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم فهم لا يسمعون
سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعنى قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل
القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض
اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين
على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم
قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتاكيد النفى والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان
لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا
تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم
المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال
الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا الله حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اى علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة
واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا فى المبتدأ او الخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام
بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعنى المعجزات
الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع
ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل
الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب
العالمين اليك حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى
الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب
لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق
فى الوصف بالصدق والمعنى انه واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا
به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت

على حالٍ حسنة ويؤيده قراءة ابيّ بالبا، وقرئ حقيقٌ ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل
معي بني اسرائيل فخلّهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم
واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي
ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
امره لا شكّ في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا
فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة يجتمع عليها النظّارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم
شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور
في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في
ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت
عليه آراؤهم فاشاروا الى فرعون والارجاء التاخير اي اخّر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو
ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت
كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف اليا
فللاكتفاء بالكسرة عنها وقرأ حمزة ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل
جه كابلٍ في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة
فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب
ياء اجريت مجراه وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء
وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف
كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب
الاجر كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين عطف

على ما سدّ مسدّه نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين خيّروا موسى مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان
يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد
ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال بل القوا كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شانه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم
ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها
فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه
ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها
باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا
كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره
وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين
او رجعوا الى المدينة مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على
وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم
عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون
قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح
عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا
لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد
لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد
مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة
الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي

١٥٠

بوعدك او انا المنقلبون الى ربنا وتوابوا ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على
لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر الا ان آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك
ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب
علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام
قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا وجواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم
ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ
بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا او
يذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه
اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال
فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر
والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير
ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم
بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق لهم وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا
بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون
باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عم فينظر كيف تعملون فيرى ما
تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون

فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما تذكر
عنه ويورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد
فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه
لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم و
يقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق
القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا
عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق
الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع
الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله
وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيركم وهو اسم الجمع وقيل
هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية
ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي
يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء
تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما واغا سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها
فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين
باعتبار اللفظ وانثه باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم
من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار
القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت
بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها
ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم و
ثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء

دا شار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يومنوا فسلط الله
عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا
اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث
لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم
وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا الى الله وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله
عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي
على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل
سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات
الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد
كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب
المفصل والطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو
صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف
دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت
الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه معذبون
فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب
لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا بالنكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم
فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل
الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد
وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد

بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين
وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا
بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما
كانوا يعرشون من الجنات وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر
يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر
ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات
العظام تسلية لرسول الله عم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة
احوالهم روي ان موسى عم عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما هلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا
على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها وقيل كانت تماثيل بقر وذلك
اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة
والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما
كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما
راوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني
ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون
من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تع وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم
ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين
خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم
تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين
والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله
اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم
من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب
استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم و
يستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة

محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها
بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عم وعد بني اسرائيل
بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك سال
ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة
المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلثين بالصوم
والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي
فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك
الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص
اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما يروى ان موسى عم كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس الكلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان
رويته جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله
ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن اري ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن
رويته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه بعد وجعل السوال لتبكيت قومه الذين قالوا
ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم
حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رويته اياه على ان لا يراه ابدا
وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة
الروية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين
به انه لا يطيقه وفي تعليق الروية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن
والجبل جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل
اعطى له حيوة وروية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق
وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا
دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق تعظيما لما راى قال سبحانك

سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المومنين مر تفسيره وقيل
معناه اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين
في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار
التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة
وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سوال الروية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا
له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة
او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده
وشقها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل
من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر
قومك ياخذوا باحسنها اي احسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة
الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من
غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر
من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود
واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين
لكم من اوريت الزند وساورثكم ويويده قوله واورثنا القوم ساصرف عن اياتي المنصوبة في الآفاق
والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون
اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يومنوا
بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يويد الوجه الاول وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر
اي ساصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة اي ولقايهم الدار الآخرة او ما وعد الله

في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الاجزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرى حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان سامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرى جؤار اي صاح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرى سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرا حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح اي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام

ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر جرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرى به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرى سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا

منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى او بسبب آخر
او عنى به انك قدرت اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم
بالانقاذ منها وان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر على طلب الروية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون
اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا
على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هى الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى
طمعوا فى الروية او اوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع
المخايله وتهدى من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفى الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا وامِلنا اليك
ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابى اصيب به من
اشاء تعذيبه ورحمتى وسعت كل شىء فى الدنيا المومن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها
فى الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بنى اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصى ويوتون الزكوة
خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يومنون فلا يكفرون بشىء منها الذين
يتبعون الرسول النبى مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل
البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد
الامى الذى لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذى يجدونه مكتوبا
عندهم فى التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم
كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى
كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى العمد والخطا وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله
فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرى بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه
واتبعوا النور الذى انزل معه اى مع نبوته يعنى القران وانما سماه نورا لانه بالجازه ظاهر امره مظهر
غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا النور المنزل

١٩٠

مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون
بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم الخطاب
عام وكان رسول الله عم مبعوثا الى كافة الثقلين وساير الرسل الى اقوامهم جميعا حال
من اليكم الذى له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه
لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول
بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفى يحيى ويميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى ساير
الرسل من كتبه ووحيه وقرى كلمته على ارادة الجنس او القران او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها
على ان من لم يومن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى
الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه
ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة ومن قوم موسى يعنى بنى اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون
الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون
بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر
وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مومنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم
رسول الله عم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتى
عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطع امما
بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط فكانه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرى
بكسر الشين واسكانها واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه فى التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه
الفعل فى ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم
حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره فى سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار
اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما

في البقرة معنى غيران قوله فكلوا منها بالفاء افاد سببية سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء
بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب
وكذا ترك الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة
وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع
وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد
وقرا ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسئلهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما
هو من علومهم التي لا تعلم الا بالتعلم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها
التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين
وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت
او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل
بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اذا
عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول
ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون
على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه
الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف على اذ
يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاؤهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه
مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى
عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما
بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله لئلا ننسب الى التفريط

في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا
به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا
تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا
اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة
على انه بئس كحذر كخفف عنه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء
كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيئس كريئس على قلب الهمزة
ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا
عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا
بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الاية الثانية تقريرا او تفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن
اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم
احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود
تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت
قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم
لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب
بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود
من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عم بخت نصر
فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث محمد عم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك
لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم
فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال
منهم الصالحون صفة او بدل وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس
دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم

لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عماكانوا عليه فخلف من بعدهم خلف من بعد المذكورين
خلف بدل سو مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر
والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله عم ورثوا الكتاب التورية
من اسلافهم اقروءنها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى
يعني الدنيا وهو من الدنو والدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلام
والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف
والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال
من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق
به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء
على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير
او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هولاء افلا تعقلون فيعلموا
ذلك ولا يستبدل الادنى الدني المودي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص
ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين
يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتداء خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير
منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر
يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم
اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا
وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما
اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم
وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي قلنا خذوا او قائلين خذوا
ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا
تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل

البعض وقرا نافع وابو عمرو ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب
لهم دلايل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم
الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على
طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو كليهما بالياء
لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين
بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل
والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رض وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود
من ايراد الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج
عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل
الايات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا
هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان
ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب
فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من
الغاوين فصار من الضالين روي ان قوما سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه
الملايكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء
بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار
الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل
العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب
على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما يشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول
المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد
الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي
هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي
يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فواده

واللهث ازلاغ اللسان عن التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين
والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما
دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
فاقصص القصص المذكورة في اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى
الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين
كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما
ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المعمول من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص
ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى
تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله
بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره
لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في
دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها
الآيات والمواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها
تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل
اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى
لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك
الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او
بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما
نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات
من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا

يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن
الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على
صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عم لا تزال من امتي طائفة
على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ما يريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم
فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم
عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان
وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عم من جنة من جنون روي انه عم صعد على
الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى
الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما
يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجاة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده
القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر
بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به
فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل
له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من
يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره
ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها
اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرساها متى ارساؤها

اى اثباتها و رسو الشى ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى

لان معناه اى وقت وهو من اويت الشى لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربى استاثر

به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها فى وقتها الا هو والمعنى ان

الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك

الشمس ثقلت فى السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين اهوالها وكانه اشارة

الى الحكمة فى اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كما قال عم ان الساعة تهيج بالناس والرجل

يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه

يسئلونك كانك حفى عنها عالم بها فعيل من حفى عن الشى اذا سال عنه فان من بالغ فى السوال عن

الشى والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وصلة يسئلونك وقيل هى من الحفاوة

بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك عنها

كانك حفى تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفى بالسوال عنها تحبه

اى تكره لانه من الغيب الذى استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسئلونك لما

نيط به من هذه الزيادة للمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يوته احدا من خلقه

قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم

بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير

وما مسنى السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى

لا يمسنى سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون

بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل

منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن

اليها ليستانس بها ويطمئن بها اطمئنان الشى الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب

فلما تغشيها اى جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا

خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرى فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت

من المور وهو المجى والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل

بكبر الولد فى بطنها وقرى على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا

ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتيهما صالحا جعلا له

شركاء فيما آتيهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف على

حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم

يخلقون يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك

لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لادم فهما منه ثم عاد اليها وقال

انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعل خلقا مثلك ويسهل خروجه تسميه عبد الحرث وامثال

ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لال قصى من قريش فانهم خلقوا من قصى وكان له

زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد

شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع وابو بكر

شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جى به على تسميتهم

اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها

وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين

وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبون كما يجيبكم الله سواء عليكم

ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى

بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم

واستمراركم على الصمات عند دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد

امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لختوها

بصورة الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق

بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين

يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرى ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت

عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا

فى عداوتى ثم كيدون جميعا فيما تعتدون علية من مكروه انتم وشركاؤكم واستعينوا بهم فلا تنظرون

فلا تمهلون فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه ان وليى الله الذى نزل الكتاب القرآن وهو

يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون

من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وإن تدعوهم
إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا
بصورة من ينظر إلى من يواجهه خذ العفو أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق
عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك
قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الأفعال وأعرض عن الجاهلين فلا تمارهم
ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها وإما ينزغنك
من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس أي وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ
والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي وإزعاجا بغرز السائق ما
يسوقه فاستعذ بالله إنه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع
بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا إياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان إن الذين
اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت
حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب
طيف على أنه مصدر أو تخفيف طيّف كليّن وهيّن والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما أمر الله به ونهى عنه فإذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله وإخوانهم يمدونهم أي وإخوان الشياطين
الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يُمِدّونهم من أمد ويمادّونهم
كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء ويعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن
إغوائهم حتى يردوهم ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن
يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم بآية
من القرآن أو مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه أو هلا
طلبتها من الله قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح لها هذا
بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا
يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ

القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم
وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة
سرا بعد فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رض تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون
الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص بالغدو
والآصال بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل
مطابق بالغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله إن الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى لا
يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون
به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي عم إذا قرأ ابن
آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت
بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين إبليس
سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الأنفال مدنية وآيها ست وسبعون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الأنفال أي الغنائم يعني حكمها وإنما سميت الغنيمة نفلا لأنها عطية من الله وفضل كما سمي به
ما يشرطه أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين
في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله لمن كان
له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان
المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها
فنزلت فقسمها رسول الله عم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو قول
الشافعي رض وعن سعد بن أبي وقاص رض قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن أبي
العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله عم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت
سورة الأنفال فقال لي رسول الله عم سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه
وقرئ يسئلونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة وأصلحوا

ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول
واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان
كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره
استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا
من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها
وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى
ربهم يتوكلون يفوضون امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة
والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا لهم درجات عند
ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق
كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف
تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر
الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول عم مع كراهتهم ثباتا
مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان
فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت
من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عم رسول الله عم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال
وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا
على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك
بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق

فلم يبق بيت من مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى
رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء
كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله عم بوادي ذفران فنزل
عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال
بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم فقال ان العير
قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فغضب رسول الله عم فقام ابو بكر وعمر رض فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال
انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال
مقداد بن عمرو امض لما امرك فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فتبسم رسول الله عم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد
شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا
على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل
قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا
عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى
الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عم لما فرغ من بدر قيل له عليك
بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم
تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى
الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك

في السنة الثانية من مقدم النبي عم المدينة ففي تلك السنة حولت القبلة من بيت المقدس الى المسجد الحرام وكانت غزوة بدر في شهر رمضان ...

لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى مجادلتهم
كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي
يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه
لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم
والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته
الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرى بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما
يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات
الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله
ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي
رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه نظر الى المشركين وهم
الف والى الصحابة وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان
تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه
الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول
بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او
متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب
مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرى مردفين
بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع وقرى بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق
بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من
قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا

الا بشارة لكم في النصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند
الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا
تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة
الله او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف
من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو
يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان
فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه
كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم
كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرى امنة كرحمة وهي لغة وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة
لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف
تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا
الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ
في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت
الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرى بالكسر على ارادة القول واجراء الوحي
مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في
قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك
جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين
للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي
هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة

الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب
مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من
العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير
للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة
الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل
باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول
معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان
الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرى وان بالكسر على الاستئناف يايها الذين امنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على
مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا
عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المومنين الاية ويجوز
ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم
فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر
الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب
او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب
لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله عم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون
فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء
من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من
حاز يحوز فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله
الآن خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم
ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل
قال عم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال
خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا واردفهم المومنون يقتلونهم وياسرونهم ثم لما انصرفوا

انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم
ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها
الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى
ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب
في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى
مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المومنين منه بلاء
حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الايات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او
الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المومنين وتوهين
كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن
كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك
انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين
واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين
وان تعودوا المحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله مع المومنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر
وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المومنين وقيل الاية خطاب للمومنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم
وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم
بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤكد ذلك يايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله
للتوطية والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القران والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا

ينتفعون به وكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهايم
الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدّهم من البهايم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميّزوا به
وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم
ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك
والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير
فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عم مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل
في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله
وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا يقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل
ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول
لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلية فذاك
ميت وثوبه كفن او مما يورثكم من الحيوة الابدية في النعيم الدايم من العقايد والاعمال او من الجهاد
فانه سبب بقايكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه
على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها وحث على المبادرة الى اخلاص
القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين القلب بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه
على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين
الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المرّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء
الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر
بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب
الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق
به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة

لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او النهي على ارادة القول كقوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف
كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن
التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول
للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا
ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم
قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم
تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين
لهم فاواكم الى المدينة وجعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعدايكم وايدكم بنصره على الكفار او
بمظاهرة الانصار او بامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون
هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا
خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنايم وروى انه عم حاصر بني قريظة احدى وعشرين
ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام
فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد
نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله عم هو الذي يحلني فجاءه فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث ان تتصدق
به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا
اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم
تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع
في الاثم او في العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده

اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق
والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في
الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح
ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل
العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه
كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق
والحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك
من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار
ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو
البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت
فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان
تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم
فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق
هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا على مضجعه
وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين
معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه
بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام
الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده
الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عم وهذا

غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم
بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا
في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا
من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عم
ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة
على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا
وقرئ الحق بالرفع على انه هو مبتدا غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا
بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير
الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب
لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي
بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين
او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله عم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه
مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء
وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران
لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد
به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما
يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا
تفعلة من الصدا على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته
روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل
كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب

يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ايقنا
بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا او عملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل
يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب
وانفق عليهم اربعين اوقية او لاصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا
بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع
رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني
اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان
غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان
الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم
يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المومن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة
بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله عم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام
متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر
ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق
الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا
يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد
سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة
فان انتهوا من الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون
بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان
بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم

ومقاتلتهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم ان الذي اخذتموه
من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت
ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلوات الله عليه
وسلامه يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل
الى الاصناف الاربعة قال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة
الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال
يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عم كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم
ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو عبد
المطلب لما روي انه عم قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم
بمنزلة فقال عم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم وقيل
المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان
الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة
ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه
اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين
اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار
والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم
الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء

كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب
اى العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع
موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفايدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم
على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان تخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين في ثبات
امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها
الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من
الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا
ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه
وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى
ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة
بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر
والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرى ليهلك
بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم
بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ
يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في
اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود
لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عم ويقللكم في اعينهم حتى قال
ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم
ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الواقعة فان
البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك

ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان
مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الاكتفاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز
الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة
ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا
الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة
والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه
بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرى وتذهب ريحكم بالجزم
والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد
بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا
ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها
لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة
فاتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب
بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضر من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت
عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من
حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان
مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل
الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت
الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل لهم انه مجيرهم
سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس
من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم

وبين كنانه من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب
لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانه فلما راى الملايكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق
وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اي اخافه ان
يصيبني مكروها من الملايكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول
ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم
المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هولاء دينهم يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا
لما يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان
الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين
كفروا الملايكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملايكة
فاعل يتوفى ويدل عليه قراة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تع وهو مبتدا خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم
او من الملايكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاهم ولعل المراد تعميم
الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار
القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا
التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم
بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على
ان سببيته مقيده بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا انه لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك
التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير
لاجل العبيد كداب آل فرعون اي داب هولاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي
دابوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم

فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هولاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة
الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى
يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوا كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف
عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمايهم والتكذيب
بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم
حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تع على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك
يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان
الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكنا
هم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم
وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعم بسبب
تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر
والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع
منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان
تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله ع م ان لا يمالئوا
عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوهم عليه يوم الخندق
وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة
او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمومنين وتسليطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها
بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال
المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد
في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب
فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه

الاول اى ثابتا على طريق سوى او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن خطاب للنبى عم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا لهم ايها المومنون لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما تتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عم يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلثا ولعله عم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذى ايدك بنصره وبالمومنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم

من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يا تلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته عم وبيانه لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع هلكت فيها سادتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبى حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المومنين اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمومنون والاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى عم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت فى اسلامه يا ايها النبى حرض المومنين على القتال بالغ فى حثهم عليه واصل الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الاثنين ووافقهم البصريان فى وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المومنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبى وقرئ للنبى على العهد ان يكون له اسرى وقرا البصريان بالتاء

حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله
من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا
حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من
اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال
ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عم اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم
العباس وعقيل ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم
يهو ذلك رسول الله عم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله عم فاذا هو وابو بكر يبكيان
فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء
ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون
وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته
في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم
بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم
روي انه عم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار
بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا فكلوا ونحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا
حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين

ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا
واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله عم ان يفدي
نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك
قال اخبرني به ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه
احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني
الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من
قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم
حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا
باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة
القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرأ
حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه
يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث
او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي

بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلايق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وهي كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القران واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من التوارث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي عم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة براءة مدنية وقيل الا ايتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم وايها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون التسمية لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي عم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انها سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد

من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله عم عليا رض راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله عم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقراها عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عم بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهدهم ورسوله عطف على المستكن في بريء

او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او
لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام
بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا
تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين
استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين
عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب
المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ
خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم
وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك
بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم
تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد
من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فاجره فأمنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره
ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما
حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان
يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو

وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد او للمشركين اي
ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله
النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما
يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على
العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم
لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال
السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا
اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده
الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا
لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على
اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم
عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم
المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا
لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون ولا
عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف
عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع
الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء
للدلالة على ان اشتراءهم ادّاهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا
وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا

عن الكفر فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم
ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او
خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء
بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ايمة الكفر اي فقاتلوهم
فوضع ايمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر
احقاء بالقتل وقيل المراد بالايمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم
احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح ويعقوب ائمة بتحقيق
الهمزتين على الاصل واظهار الياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم
ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان
يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين
وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا
لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال
الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على
النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على
ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره
بدار الندوة على ما ذكر في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول
وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عم بداهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان
تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان
تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه
قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين

قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها
اذى شديدا فشكوا الى رسول الله عم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء
اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار
ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة اخرين
والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ
على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين
جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على
ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله
ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام
الصلوة واتى الزكوة اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها
تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها
مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوادي
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر
الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة
واتى الزكوة ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل
يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في
الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم
دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية
مصدر مضاف الى مفعوله

والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدى القوم الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات هذا ومن اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها فى الجنات نعيم مقيم دايم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضايعين نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وعشايركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتى الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين لا يرشدهم وفى الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة يعنى مواطن الحرب وهى مواقعها ويوم حنين ويجوز لم يقدر ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع

موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطايف حارب فيه رسول الله عم والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العشرة الذين حضروا مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبى وابو بكر وغيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله عم فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملايكة فالتقوا مع المشركين فقال عم هذا حين حمى الوطيس واخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اى الكثرة شيا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اى سعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التى سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المومنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعنى الملايكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبى وذلك جزاء الكافرين اى ما فعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله عم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبى يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقام رسول الله عم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا

يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضه ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كلمة في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عايلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا او عملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجا عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر لم ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف انه عم اخذها من مجوس هجر وانه

قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير بن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد ماية عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قريت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرا عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يودي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملايكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرا به عاصم ومنه قولهم امراة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا

يتموا الله نع واما اطاعة الرسل وسايرمن امرالله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو
صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا ان يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة
محمد عم بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عم بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره
المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك
بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على ساير الاديان فينسخها
او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس
بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل
الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير
من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب
للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله عم فقال ان الله لم يفرض
الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه
فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء
كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عم فيما اورده الشيخان عن ابي هريرة ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فيكوى بها
جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد
النار ذات حمي شديد عليها واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند
الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما

وانما قال عليها والمذكور شيان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رض اربعة الاف
وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة
حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السايل
واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانهم اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن
وماخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب
تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزون وقرى تكنزون بضم النون
ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عده لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب
الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض
متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس
الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم
واسمعيل عم والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها
والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام عن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويويد الاول ما روي انه عم حاصر الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي
القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشي فان الجميع
مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب
تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد عن نافع انما النسي
بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرى النسي بحذفها والنسي والنساء والنسء وثلثتها مصادر

نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم
يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن
يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك
جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء
للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين
هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم
وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كان ضمن معنى الاخلاد
والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في عسرة وقيظ مع بعد
الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها
فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا الا لم
تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو
ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا
اي لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي لا تضروه
فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما
نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو
كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت
فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له
في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه
على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في

اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان
او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم
عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها
القلوب عليه على النبي عم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون
الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة
الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عم
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه
ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه
من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار
ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم وثقالا عنه
لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا
ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عم أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى
حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من
تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا
اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا
متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان
لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله
اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع

قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين بالخروج عفا الله عنك كناية عن خطايه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو والمعاتبة عليه والمعنى لاى شى اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا اى التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله فاخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافه وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين تحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك لن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوا لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك

بعد ما خرج الرسول الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمومنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة لاعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لى في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى او في الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالى فاتركني الا في الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل يتحجوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشى فيما قصد له وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله فليتوكل المومنون لان حقهم ان لا يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوى الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى

ونفي التقبل يحتمل الامرين ان لا يوخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل
له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان
تانيث النفقات غير حقيقي وقرى يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى
متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد
والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة
فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين
وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون
الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون
فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرى مدخلا اى مكانا يدخلون فيه
انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون
اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرى يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وابن
كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم
يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم
انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان
رسول الله صلعم يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل
يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نايب مناب الفاء الجزائية
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة وذكر الله للتعظيم
والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من
فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون ان يغنينا
من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف

الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين
اى الزكوات لهولاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات
دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره
والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة
فكانت لمساكين وانه عم سال المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة
والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمولفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه
فتستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلعم
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون
على ان يسلموا فانه عم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد
عد منهم من يولف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانع الزكوة وقيل كان سهم المولفة لتكثير
سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون

219

المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد
او بان تفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل
للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او
لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد والانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع
والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من
الله مصدر لما دل عليه الاية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء
وقرى بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص
استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية
بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة
والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان

يغنى يشتجى وهو الدى على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا الحاجة فسمتها عليهم ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل
روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم
بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق
به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف
سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا
على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف
فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون
بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم ليرضوا عنكم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق
ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين اولان الكلام فى ايذاء الرسول
وارضائه اولان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه
ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعل من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف
الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد
الله ورسوله يهلك وقرئ بالكسر ذلك الخزى العظيم يعنى الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على
المؤمنين سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل
فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على
بت فى امر الرسول بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا
ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله عم فى غزوة تبوك
فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال
قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء
به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة

معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طايفة منكم لتوبتهم واخلاصهم وتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طايفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما
وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه
قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان
كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده
كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصى
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون
الكاملون فى التمرد والفسوق عن دايرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم
الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من
تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد
منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من
ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم ~~نصيبهم من~~
~~الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير~~ كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذايذ الحقيقية تمهيدا
لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم فى الباطل كالذى خاضوا كالذين خاضوا او
كالفوج الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا
بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه
واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط
ايتفكت بهم اى انقلبت بهم فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
المتمردين وايتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان الله

ليظلمهم اى لم يكن من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة
قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان
السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها
النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات
عدن اقامة وخلود وعنه عم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير
ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون
الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكأنه وصفه اولا من
جنس ما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس
وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم
بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل
الوصول والفوز باللقاء وعنه عم ان الله تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل
من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز
العظيم الذى تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة
واقامة الحدود واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما
قالوا روى انه عم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن
سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله عم فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا
عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر

بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من
المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا
ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك
من العيش فلما قدمهم رسول الله عم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته
اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم
وهو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم
الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير فينجيهم من العذاب
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت فى ثعلبة بن حاطب
اتى النبى عم وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما
الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله
منعنى ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله
فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان فلما آتاهم من فضله
بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا
فى قلوبهم اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى
فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اى جزاءه وهو يوم
القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم
كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه فى انفسهم
من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية

وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير
في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوّعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عم حث
على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة
وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله عم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله
حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق
تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا
لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى
عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في
الامر اذا بلغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم
ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم
الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن
عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله عم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عم
لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك
لانه عم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين
له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير
لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا
بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك
بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم
ياسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال

٢٢٢

تعالى امام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله
وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا
تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا
وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها
بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار
عما يؤل اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب
ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك
الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا
منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج اي غزوة اخرى
بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم
رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم
واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم
للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم
مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب
ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة
عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر
والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي
على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم
على قبره ولا تقف عنده للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل
للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس

مغتبطة عليها ويجوز ان يكون ملذه في فريق عند الاول واذا انزلت واذا انزلت سورة من القران ويجوز
ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا بالله ويجوز ان يكون المفسرة وجاهدوا مع رسوله
استاذنك اولوا الطول منهم الفضيل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا
للعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النسا جمع خالفة وقد يقال الخالفة الذي لا خير فيه وطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة
لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هولاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واوليك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة
وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واوليك هم المفلحون الفايزون
بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من
الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف
معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على
اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر
اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعتذرون
بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في
انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا
الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب
الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار
ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة
وبنو عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما
يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين
من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على
انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين كذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف المحسن ولا على

ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة
من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله ابن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن
غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد الانصاري اتوا رسول الله عم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل
هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه
حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعها
حال من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على
ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله
الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على
الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما
هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة
وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا
رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نومن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا
الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد وسيرى الله
عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم
لا يفوت عن علمه شيء من ضمايرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع
فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهولاء ارجاس لا تقبل التطهير
فهو علة الاعراض وترك المعاتبة وماويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من
اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا
فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا
عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

لا شك ان اصل الكلام اعينهم تفيض
دمعها ثم اعينهم تفيض دمعا فانه
ابلغ اما اولا فلانه اسند الفعل
الى غير الفاعل وجعل الفاعل
تمييزا سلوكا لطريق الابهام والتبيين
واما ثانيا فلان العين جعلت
كانها دمع فايض ثم اعينهم تفيض
من الدمع فهو ابلغ من اعينهم تفيض
دمعا بواسطة من التجريدية فانه
جعل اعينهم فايضة ثم جرد الاعين
الفايضة من الدمع باعتبار الفيض
والاولى لم يعول وهو ابلغ من تفيض
دمعا من حوله وهو ابلغ من تفيض دمعها

اى فان رضاءكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه
وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنكم ان تلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان
بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم
الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق ان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله من الشرايع فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل
الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق
رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق
عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم
والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمى به عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر
اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون
ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهى
ثانى مفعولى يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عم كان
يدعو للمتصدقين ويستغفر لذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له
ان يصلى عليه كما قال عم اللهم صل على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها
قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحققه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبد
الله ذى البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين
شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة
الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا
على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان

بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا
من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما
هو فى ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اى وممن حول بلدتكم يعنى
المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين
حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره فى
حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين
فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال
فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا
علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة وهم طايفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم
رسول الله عم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان
لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف
وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على
ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها
بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التايب ويتفضل عليه خذ من اموالهم
صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا
فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدى
لهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى بها
حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة

والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع عليم باعترافهم وندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يتمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التخصيص عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله ان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تع لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تع والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهولاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امورهم الى الله فرحمهم الله تع والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي فيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله عم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله عم فقالوا انا بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله عم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله عم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف لما روي انه بنى

بني قبل غزوة تبوك فسالوا رسول الله عم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنيانه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله عم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله عم لقول ابي سعيد سالت رسول الله عم فقال هو مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله عم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مومنون وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عم مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تع قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذاك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تع ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هو بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه

وشفا الشي حرفه ومنه اشفى على كذا اذا دنا منه والجرف ما اذا سال السيل والخفر الوادي ... السقوط ساعة فساعة ...

كالقعدان والنسج بمعنى المنسوج

صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناءهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم
اى لا تزال
هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم بانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كاين بالقتل بالقتل او في القبر او في النار وقيل القطع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى حرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل او المفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر موكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقران مذكور فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
اى التفضل ... من الله
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التايبون رفع على المدح اى هم التايبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اى التايبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح
اى التايبين
او جرا صفة للمومنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمايه او لما نابهم في السراء والضراء
من التايبين ...
السايحون الصايمون لقوله عم سياحة امتي الصيام شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السايحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل وهذا مجملها وقيل

٢٢٩

وقيل للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المومنين يعني به هولاء الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المومنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المومن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روى انه عم قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي عز وجل في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل على الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيايهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحى اليه بانه لن يومن تبرا منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا او يواخذهم مواخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يتبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاوه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا الى الله ويتبروا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف وبراهم
اى تجاوز عن النبي وصفح ...
عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى

453

ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله تع وتوبوا الى الله جميعا اذ ما
من احد الا وله مقام يستقصر دونه ما هو عنه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها
بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة
تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين
كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه الضمير في منهم وقرأ
حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا
من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم
المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا
وعلموا ان لا ملجا من الله من سخط الله الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى
ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم
بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين
الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للتاكيد
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه ويكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة
بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب
والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله عم في الضح والريح
ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله عم طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عم واستغفر له وفي لا يرغبوا

454

لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او
وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة
في سبيل الله ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه ولا ينالون
من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك
مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على
ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون
واما في حق المومنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو
منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك
ليجزيهم الله بذلك ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المومنون لينفروا
كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل
بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة
قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه
بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم
فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما
ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة
تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر
لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر
وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المومنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان
الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي
الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي لينذروا البواقي قومهم النافرين اذا

رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب فالاقرب كما امر الرسول اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة
والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين
وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة
فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا او استهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب
على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة
وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع
درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه او لا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم
يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله عم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها
من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد
قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم
عربي مثلكم وقرئ من انفَسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاءكم المكروه
حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم قدم الابلغ منهما
وهو الرءوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله
فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه
وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم العظيم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ
العظيم بالرفع وعن ابي انه اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي عم ما نزل القران الا اية اية وحرفا
حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات
الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم
لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار
للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان
تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوا الاعجوبة لهم يوجهون نحوها انكارهم
واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب
ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على
الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة وهذا وانه عم لم ينقص عن عظمائهم فيما يعتبر
فيه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك
وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان
هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار
اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا
به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما
سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين
وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا
من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش
يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها
وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه
تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة
لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره

لايشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر
فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او
او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر موكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم
وعد من الله حقا مصدر آخر موكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده
بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدالتهم
وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة
قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي
الذين كفروا بشراب حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم
للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع
بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المومنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب
الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه
لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدا بالفتح اى لانه وهو ان تكون منصوبا او مرفوعا بما نصب
وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام
او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل
القران على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اى ذا نور وسمى نورا للمبالغة وهو اعم
من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه
خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل
الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدر ذا منازل او للقمر وتخصيصه
بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا
عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الايات
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص بالياء

استدل على التوحيد اولا بخلق السموات والارض

بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات
لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه
يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا
اليها مقتصرين بهممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين
هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات
بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد
له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك
الحقائق كما قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب
وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال
الايمان بالسببية تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى
الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم
فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي بعضهم بعضا او تحية الملائكة
اياهم فيها سلام وآخر دعويهم آخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك ولعل
المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم
الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات
الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يعجل
لهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم
به تعجيل لهم وبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل
الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي

عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وهو الله مع وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل
دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا
مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او
قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر
مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى
كشف الضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا
بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة
على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام
لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد
النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه
لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة
على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون
التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى
اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة
على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة
ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ايت
بقران غير هذا بكتاب آخر نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد
الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى
ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزمه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي
من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع

امتناع الاتيان بقران آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد
بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال
من ان القران كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني
اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا
الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن
ابن كثير ولادريكم به بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري
والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادراتكم
بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع
اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى
اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة من قبله
من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش
بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا
عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلى كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد
علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه
علم انه معلم به من ربه افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا
انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفادٍ مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين
بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي
ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم
كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه
بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع

المعلومات لايكون له تحقق ما في السماوات في الارض حال من العايد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على انه ما يعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد ادم عم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طايفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخر الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضى بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا النزول لما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفايه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بما فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان

يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم وانه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر موكد اي يتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذورا وضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون

فانهم المتنفعون به والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من النقص والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلّم الله والملايكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصرّ على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشيها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتداء والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتداء خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية فى الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعنى الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف

عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيّلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملايكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة هنالك فى ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلوا من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهم توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شىء ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت او ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فى شىء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله وان الحق بعده الضلال وانهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل

من الكلمة او تعليل لحقيقتها والمراد ببدا العدة بالعذاب خرجوا عن حد الاستصلاح قل هل
من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان
لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عم بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدؤا الخلق
ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم
من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يتعدى بالى
لتضمنه معنى الانتهاء تعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم يتوجه نحوه على
سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسنده الى الله قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا
اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح و
عزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب
وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء
الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف
تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى خيالات
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة
موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان
الظن لا يغنى من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان
الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى
من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية
المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه
بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على
تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب

لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا
من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما
يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا
بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى في العربية والفصاحة
واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا
به من دون الله سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل
سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم
بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله
ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب
حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا التكذيب
قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر
عليهم التحدى فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا
لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به
من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به
في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لى عملى ولكم عملكم
فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريؤن مما اعمل
وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع
ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون

ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مالوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة لم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما تنتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحرس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدرك البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا والقبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم

افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المومن وعقاب الكفار لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمومنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كاين لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على ما قبل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويويده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب الكاين او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من

الا كنتم تستعجلون استعجالكم العذاب وقرى الآن بحذف الهمزة بعد اللام والقاء حركتها على اللام

لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فايتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير ما في الارض من خزاينها واموالها لافتدت به لجعلته فديه لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويظن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرًا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك والحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كاين لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في الاخرى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبايح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمومنين حيث انزل عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفايدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء

بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المومنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصل متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترايهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة اي يحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كاين وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس من حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي هنا من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر

لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول
والآية لمجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا
الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على
المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير
لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة
والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بما قبله
ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة
لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا
تبال بهم ان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين
واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق
ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي
شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع
محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز
ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ وتدعون بالتاء والمعنى اي
شيء يتبع الذين يدعون شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره
فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان
وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون
الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة
وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون

يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح
الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب
عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما
اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت
له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع
على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها
من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة
الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف
اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره
محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة
او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا
عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير
ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب
بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم
بالعزم او الاجماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم
ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره ثم لا يكن
حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج
الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم
لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او تفويتي لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير
الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين

بحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره. فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان
توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن
معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول
وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاءوهم
بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا
لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب
الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في
الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب
العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه
بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك
تهاونوا برسالة ربهم واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة
المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه
قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون
أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير
والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله
سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه
ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر
او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون
قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر والتكبر على الناس باستتباعهم
وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل سحار وقرأ حمزة والكسائي
ساحر عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما

جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر
على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه
اي سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد
وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون
ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم
فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم
آمنوا به او مؤمن من آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون
وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد
بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه
او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في
الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء
وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا
عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد
مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل
على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان
تبوءا اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما
وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان
يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم

واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي
ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله
ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا
للاول تاكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها
والطمس المحو وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما
بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما
انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم
بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق
والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين
لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته
فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين عادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه
قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه
بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا
يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك
مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك
من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى
وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا
سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء
البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك

٢٣٩

وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين
اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل
امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان
افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك
دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا
لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم
الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد عم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان
كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الله او تهييج الرسول وزيادة
تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عم لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي عم والمراد
امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته
شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل
للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه
كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او
يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي
لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا
كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم
تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن

قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة
الدنيا ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التخصيص معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد
من القرى اهاليها كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويويده
قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روى ان يونس عم بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه
واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم وذراريهم وفرقوا بين كل والدة وولدها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى
الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم بحيث لا يشذ
منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى انه تع لم يشا ايمانهم اجمعين
فان من يشاء ايمانه يومن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشاء
الله منهم حتى يكونوا مومنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار
وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن
الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت فلذلك قرره
بقوله وما كان لنفس ان تومن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى
هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرى بالزاء وقرا
ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والايات او لا يعقلون
دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويويد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا فى السموات
والارض من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت
انظروا عن العمل وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يومنون فى علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية
فى موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله
بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين لذلك
او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجى رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل
عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية

الماضية كذلك حقا علينا ننجى المومنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك
المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ان كنتم فى شك من دينى وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله
الذى يتوفيكم هذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين
الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى يوجدكم
ويتوفيكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المومنين بما دل عليه العقل ونطق
به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وانّ وان يكون غيره كقوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا
فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه وصيغ الافعال كلها كذلك
سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض والانتهاء
عن القبايح او فى الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا
تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك
اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسوال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان
يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذى اراد
به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات
وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد
بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من
عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا الرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس
قد جاءكم الحق من ربكم رسوله والقران ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدى لنفسه
لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ
موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل
اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء فى حكمه لاطلاعه على السراير
اطلاعه على الظواهر عن النبى عم من قرا سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب
به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهى مائة وثلث وعشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال
من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فالمراد ايات السورة وليس فيها منسوخ
او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على
امهات النظرية والعملية ثم فصلت بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها
سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين
الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي
في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او
فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا
تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز
ان يكون كلاما مبتدا للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك
عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك
والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة
ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى
هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت
متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط
كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا او في الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان
تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا
بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ
عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم
يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عم او يولون
ظهورهم وقرئ تثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن

من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان
كابياض بالهمزة وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمومنين عليه قيل
انها نزلت في طايفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا
على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث
بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في
قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا
لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد
بالقوة كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان
كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد
ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما
كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل
والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حايل بينهما لا انه كان موضوعا
على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم
وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك
كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم
ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق
فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل
والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دايما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك
قال النبي عم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا

ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث
او القول او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسائى الا ساحر
على ان الاشارة الى القايل وقرى انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او تكون ان بمعنى عل اى
ولين قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
في انكاره ولين اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة
ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب
مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط
بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزءون اى العذاب الذى
كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولين اذقنا الانسان
منا رحمة ولين اعطيناه نعمة بحيث تجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس
قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة
ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة
لا تخفى ليقولن ذهب السيات عنى اى المصايب التى ساءتنى انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور
على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان
في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفر والبطر بادنى شىء لان
الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما
لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق
ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك
تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع
الشىء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحى
والثقة في التبليغ هاهنا وضايق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير

الضمير فيه مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا
او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شىء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل
بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر
سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم
وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح
انى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر
لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة
على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما للتعظيم
للرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه
عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا
يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر
عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه
غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط
من ان يجيرهم من باس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق
عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان
لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه
الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام
الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم
في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرى يوف بالياء اى يوف الله ونوف على
البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غايب
مالى ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا لمقابلة ما عملوا لانهم استوفوا

مايقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه
لم يبق له ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص
ويجوز تعلق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل
على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرى باطلا على انه مفعول يعملون وما
ابهامية وفي معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة
من ربه برهان على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه
هولاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر
الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مومن مخلص وقيل
المراد به النبي وقيل مومنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل
شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى
التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة
باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرى كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه
اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرايل ويقرا
من قبل القران التورية اماما موتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير
الدارين اوليك اشارة الى من كان على بينة يومنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن
تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الوعد او القران وقرى
مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يومنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اوليك يعرضون على ربهم في
الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملايكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع
شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل
عظيم مما يحيق بهم حينئذ بظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا
ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون

كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اوليك لم يكونوا معجزين
في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم
من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد عن ايات ما كانوا يستطيعون السمع
لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله وكانه العلة في مضاعفة
العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان
ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اوليك الذين خسروا
انفسهم باشترا عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها
او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في
الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمينة اوليك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون دايمون مثل الفريقين الكافر والمومن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد
تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر
معانيه وتشبيه المومن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار
وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمومن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف
الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
هل يستوي الفريقان مثلا اي تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول
نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول
مبين ويجوز ان يكون مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو
في الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهارك صايم للمبالغة فقال
الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب
الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساونا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم

كالاكبد والارذل جمع رذل بادى الراى ظاهر الراى من غير تعمق او من البدء اول الراى والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الراى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوة النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقكم فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواى وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت اى اخفيت وقرى فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انلزمكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسئلكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او يتسفهون عليهم بان يدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه واموله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى يقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال

انه بلغه انهم كانوا يبطشون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا ياتي قرن الا كان اخبث من الذي قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع ابائنا واجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا فشكى الى الله فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا حتى قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك الآية بغوى

افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراى في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الروية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا يؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرى اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس حزن في استكانة اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي

يبتداء بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء وارتفع كالقدر تفور والتنور الخبز ابتدا منه النبوع
على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور
وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها
زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين
من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم
الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن
والمومنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه
الثلثة حام وسام ويافث ونساؤهم وكان طولها ثلثمايه ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين
وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير
وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها
ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها
وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم
آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر
او جملة من مبتداء وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما
جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري
قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما لقوله ثم اسم
السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرساها
ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا
مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا
مسمين وهي تجري بهم وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل
ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير

لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف
الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده
يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع
القران غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمن في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث
في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة
واختلف الرواية عنه في ساير المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص
لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء
ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان
من رحمهم الله تعالى وهم المومنون رد ذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به
الا معتصم المومنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية
وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه
او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى اولو العلم وامرا بما يومرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما
لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته
وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز
ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المومنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي
جبل بالموصل وقيل بالشام او بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا
اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية
الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز والخلو عن الاخلال
وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره
اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى

نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابنى من اهلى فانه النداء وان
وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما
حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم
او لانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه
ليس من اهلك لقطع الولاية بين المومن والكافر واشار بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل
لنفى كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء
تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ذكرت فانما هى اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح
تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائى
ويعقوب انه عمل غير اى عمل عملا غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو
ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سوالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه فى شان ولده
واستفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله انى اعظك ان تكون من
الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السوال
لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة
وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلننى فحذفت نون الوقاية لاجتماع
النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها فى الوصل
قال رب انى اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل ما ليس لى به علم ما لا علم لى بصحته والا تغفر لى
وان لم تغفر ما فرط منى من السوال وترحمنى بالتوبة والتفضل على قيل يا نوح اهبط بسلام
منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا
عليك او زيادات فى نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرى اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى
الخير النامى وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم
او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المومنون لقوله وامم سنمتعهم اى وممن معك امم سنمتعهم
فى الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود

هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء
وخبرها من انباء الغيب اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او حال
من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء
فى نوحيها والكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم
يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذى
القوم كما صبر نوح ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصى
والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله
وحده ما لكم من اله غيره وقرى بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ
الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب
كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع
افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا
بالتبرى عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا
كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم
كانوا اصحاب زرع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلثين سنة
فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل
على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركى آلهتنا
بتاركى عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى وما نحن لك بمومنين اقناط
له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه
يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم
بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال انى اشهد الله واشهدوا
انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون اجاب عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله

على برائه من آلهتهم وفراغه عن اصرارهم تاكيدا لذلك وتبيينا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة
بهم وان يجتمعوا على الكيد من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقويا الاشدا
ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا يتمكن من اضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة
دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبيطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه
بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني
فاني متوكل على الله واثق بكلامه وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على
ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها
قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم
اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر
لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان
الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده
القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا
من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه
اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا
او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من
عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم
فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا
في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار
القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم
عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل
جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا

من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في
هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين فكبتهم في العذاب الا
ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم
بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر
الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته
تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم
منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها
عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم
فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا
في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد
ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان
مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة
فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني
اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما
تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على
الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترعى
نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها
بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم
الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع

عنه باجرايه مجرى المفعول به كقوله ويوما شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز
وكان الواعد قال له اَفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر
كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيمة وعن نافع
يومئذ بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ
ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم
نونه ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله
الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا
تسعة وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك
قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام
اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سِلْم
وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحِرْم وحَرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ المجيء به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي
بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما
رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا
به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه
اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا
لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال
الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم
ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة
ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام

الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق
او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه
بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده
وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس
من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل
وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة
اليها للدلالة على ان الولد المبشر به منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى
يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل موضع فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز
ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة وعشرين
ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او
خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب
من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل
فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصبه على المدح او النداء
لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد
كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم
قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او
متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام
من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود
من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول

اربع مرات فدخل معهم منزله وروى انه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومى شر خلق الله ثم مر على قوم آخرين فقال مثله ثم مر على قوم آخرين فغمزوا فيما بينهم فقال لوط مثله ثم مر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم فقال لوط مثله فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا حتى اتى بيته وروى ان الملائكة جاءوا الى بيت لوط وهو فى داره ولم يعلم بذلك احد الا اهل بيت لوط فخرجت امراته فاخبرت قومها وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط بغوى

اى قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاءوا فى صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى تزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طار او مبالغة فى تناهى خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتى كقولك هذا اخى هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحونى من الخزى او ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء فى ضيفى فى شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لى بكم قوة لو قويت بنفسى على دفعكم او اوى الى ركن شديد الى قوى امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى عم رحم الله اخى لوطا كان ياوى الى ركن شديد وقرئ او اوى بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لى بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه

النجاء حج

بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء فان فى بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القران من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة والاولى جعل الاستثناء فى القراءتين عن قوله لا يلتفت مثله فى قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عم ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلب وصياح الديك ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى مثل الشىء المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل وهو ما كتب الله ان يعذب به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معد لعذابهم او نضد فى الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز به عن حجارة الارض او باسم

اى ولقد ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا

من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم
وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا
وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون
بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا
اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم
عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل لحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن
البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة
فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا
يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة
او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه
لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها
بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب
غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه
اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو
يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور
في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد
به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح
آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح

القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت
او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك
ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار
بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه
وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى
اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في
اموالنا ما نشاء عطف على ما اى وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما
على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن
تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه
بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين
عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله
من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان
اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي
عن دين الاباء والضمير في منه لله اى من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به ولو كان صوابا لآثرته
ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته
عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف
ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه
الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه
ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل
ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل
خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي

بيّن بهذا ان توكله في تنفيذ الاعمال الصالحة على توفيق الله وهدايته

الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبداء واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي به ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يُجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثلَ بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمونث لانها على زنة المصادر كالصهيل والنهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم

الرجم وهو ديدن السفيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تتقون على الله وتتقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثم للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتوراة او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه

جلاء الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المويد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم الى النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطا المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره لتعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك النبا من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قايم من تلك القرى باق كالزرع القايم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرى اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرى اذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا الظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص وهو مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين فى الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من آله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم

العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وما نوخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم ياتى اى الجزاء واليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة باثبات حذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة فمنهم شقى وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او الناس فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرى شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامها فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لابد

لهم من مظلل ومقلل وجه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض فهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهولاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقايه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد بالاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هولاء من عبادة هولاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من

او من حال ما يعبدونه في انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة وان كلا المختلفين المومنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطية للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا تفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف

بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل
اليسير كالتزين بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه
ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم
نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي
افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرى تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا
على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم
والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم
لاستبعاد نصره اياكم وقد اوعدكم بالعذاب عليه واوجبه لكم ويجوز ان يكون منزلا منزلة
الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك
انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه
مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو
جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية
العصر وقيل الظهر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرى زلفا
بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات
يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت
الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي عم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني
لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين
عظة للمتقين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل
عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلوة احسان وايماء
بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الراي
والعقل او اولي فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان
من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها

لهامس العذاب ويؤيده انه قرى بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك
ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما
اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك
وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو
فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على
مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف
على اتبع او اعتراض وقرى واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به
المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون
فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك
قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تع لم يرد
الايمان من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على
الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا
على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف
واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نباء نقص عليك
من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود
من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى
الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به
فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة
وذكرى للمؤمنين اشارة الى ساير فوايده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم
انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم

غيب السموات والارض خاصة لا تخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله عم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحا ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك

آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه او تحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عم الكريم بن الكريم

الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار العوض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي ان جابرا ان يهوديا جاء الى رسول الله عم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عم من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك

ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل الأحاديث من تعبير الرؤيا
لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس أو الشيطان إن كانت كاذبة أو من تأويل
غوامض كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل
ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر
بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكوكب أو نسله كما أتمها على أبويك بالرسالة وقيل على
إبرهيم بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك
أو من قبل هذا الوقت إبرهيم وإسحق عطف بيان لأبويك إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الأشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف وإخوته أي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله
وحكمته أو علامات نبوتك للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد بإخوته علاته العشرة وهم يهوذا
وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولا
فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما
حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة إذ قالوا ليوسف وأخوه
بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين أحب إلى أبينا منا وحده لأن أفعل
من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلى
جائز في المضاف ونحن عصبة والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول
أو لترك التعديل في المحبة روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما
رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا وقيل قاله شمعون أو
دان ورضي به الآخرون أو اطرحوه أرضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإبهامها
ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم جواب الأمر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل
بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد وتكونوا جزم بالعطف على يخل أو نصب
بإضمار أن من بعده بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه قوما صالحين تائبين إلى الله عما

جنيتم أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في أمور دنياكم فإنه ينتظم
لكم بعده بخلو وجه أبيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا
يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر
وقرأ نافع في غيابات الجب على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الأرض إن كنتم فاعلين بمشورتي أو إن
كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه
وإنا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم
لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالإدغام بإشمام وعن نافع ترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام
لأنهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء أرسله معنا غدا إلى الصحراء يرتع يتسع في أكل الفواكه ونحوها
من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه
من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على
إسناد الفعل إلى يوسف وقرئ يرتع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على
الابتداء وإنا له لحافظون أن يناله مكروه قال إني ليحزنني أن تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه وأخاف أن يأكله الذئب لأن الأرض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام أن الذئب
قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الأصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وعاصم
وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا والباقون بترك الهمزة واشتقاقه في رواية اليزيدي
وأبو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح إذا هبت من كل
جهة وأنتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن أكله الذئب
ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه إنا إذا لخاسرون ضعفاء مغبونون أو مستحقون لأن يدعى
عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وعزموا
على إلقائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض الأردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ
من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به
إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما

علية تمونی ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه و
نزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى
به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويونسوك فلما بلغ نصفها القوه
وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما
قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى
يحيى وعيسى عم وفي القصص ان ابرهيم عم حين القي في النار وجرد عن ثيابه فاتاه جبريل عم
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة
علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات
وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره
بما يؤل اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي
انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير
عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع
بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او
في الرمي وقد تشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا
فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك
ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصف بالمصدر
للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر
او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على
القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز
تقديمها على المجرور وروي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه
وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا

حزب

امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث
الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه
من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون
من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلثة ايام من القائه فيه فارسلوا واردهم
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها
فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه
كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير
الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد
الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه
الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل
يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا
ابق منا فاشتروه وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا
~~بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا~~ للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال اي قطع
للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه
وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم
بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان
عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير
في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه
والملتقط للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم
اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو
بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من
مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان
بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة

بقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية
من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون
دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل
اوزليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا
في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس
فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب
العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل
الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه
وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها
او يعبر المنامات المنبئة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل
كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف
اراد به اخوة يوسف شيا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد
جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب
ومبداؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني
علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء
على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت
منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الاغلاق
وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني

بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع
وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت من هاء يهيء اذا
تهيا وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي ان الشان ربي احسن
مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في
في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه
انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني
باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم
عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل
من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف
الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا
يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف
يدل عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي
يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل
ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت
وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط
الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف
واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني
عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم
تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد

وعن النبي عم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن
مريم وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها
فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على
انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول
وتسميتها شهادة لانها ادت موداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره
قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فانه معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك
باحساني السابق وقرى من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما
جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك
ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها
ولامثالها ولساير النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا
في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه
وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطين
من القوم المذنبين من خطي اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة
وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال
اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب
الدواب امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان
العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها
وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرى شعفها من شعف
البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك
لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت
اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكين عليه من الوسايد وآتت كل واحدة

منهن سكينا حتى يتكين والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن
نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها
اذا خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة
واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ الاترج كان القاطع يتكي عليه بالسكين
وقرى متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع
من متك الشي اذا بتكه ومتكا من تكا يتكي اذا اتكى وقالت اخرج عليهن فلما راينه
اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفايق وعن النبي عم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن
من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف
على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال
ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين
من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على
خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو
حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك
سقيا لك وقرى حاشا الله بغير لام بمعنى براءة من الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله
منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اي صار في ناحية لله مما يتوهم عنه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو لغة
الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتهما في نفي الحال وقرى بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى
اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرايق والكمال الفايق
والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه فوضع ذلك

موضع هذا ادخلا المنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرّت
لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما امره
به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ وليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت ثمه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها
بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه
اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان مما تشتهيه النفس وذلك مما
تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوّفنه عن مخالفتها وزيّن له مطاوعتها او
دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال
الله العافية ولذلك رد رسول الله عم على من كان يسال الصبر والا تصرف عني وان لم
تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة أصب اليهن
امل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه
الصبا لان النفس تستطيبها وتميل اليها وقرئ أصبّ من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين
من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما
يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف
فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطّن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة
المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا
لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة
يوسف كشهادة الصبي وقدّ القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل
بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا
حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء
على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتّى بلغة هذيل ودخل
معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك

الملك شرابيه وخبازه للاتهام بريدان ان يسمّاه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام
وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهس منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون
تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من
المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه
الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه
يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان
يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما
اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت
ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى
رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوّز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه
وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان
نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى ساير
الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل
فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلايل وانزال الآيات ولكن
اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي
ساكنيه او يا صاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون
شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله
ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية

عقل ولا نقل الهة ثم اخترتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه
المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه
الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا
من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم
برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما
بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره
ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما
احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد
به الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في
امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك
عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي
عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر
لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في
كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع
سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا
اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان
حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه
حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم

واللام في للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
تعديته كانه قيل لما كنتم تعبرون فقيل لاي شيء فقيل للرؤيا كما قيل
في تعديته الآية الثانية في اي شيء زهدوا فقيل فيه واما ان يدخل
لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه
مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا
قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون
للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به
متمكنا منه وتعبرون خبر آخر او حال وان يضمن تعبرون معنى
فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم
تنتدبون لعبارة الرؤيا

عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور
وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية
العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث
احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط
النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل
للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما
من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة
اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي
نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتاويله
فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف
فجاء وقال يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف
صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده
او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك او مكانك وانما لم يبت
الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين
دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون
دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل وقيل تزرعون
امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على
الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به

الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون
لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ
على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله و
يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر
وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف للسمان باكل ما جمع في السنين المخصبة
في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة
الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول
بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن
ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم
ويتقي مواضعها وعن النبي عم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة
وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث
وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة
بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد
بعلم الله تع وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه
له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوأة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء
للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله
يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر

بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف
اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل
في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها
على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق
وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس
لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح
في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه
عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية
حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة
واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر
لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل
وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك
يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها
ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل
توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرايم
وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عم لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده
وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا

ليوسف في الارض في ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعهما اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب ساير البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرى بجهازهم بالكسر قال ايتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زايدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا

لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعني بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرى خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرى ردت بنقل كسرة الدال المدغم الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرى ما تبغي على الخطاب اي اي شي تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شي قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شي يسير لا يخاطر لمثله الولد قال لن ارسله معكم اذ

رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا
موكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني في تاويل
النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب
الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق وايتائه وكيل رقيب
مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي
جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ وكان الداعي اليها
خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عم في دعوته اللهم اني اعوذ
بكلمات الله التامة من شر كل دابة وهامة ومن شر كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء
مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى
عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة
على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء
سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني
عنهم راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ
بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب
استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازه من ان يعانوا قضاها اظهرها
ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من
شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا
على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى
مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال
لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل

بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك
فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت
تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها
العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعنيه السقاية والنداء برضا بنيامين وقيل
معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها
الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير
واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث
لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك قرئ صاع
وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعل
له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في
الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم
للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما
لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في
البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه
هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط
او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه
من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدا باوعيتهم فبدا المؤذن وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه
يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان

علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه لمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تع عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تع ومعناه الذى له العلم البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطى السايل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم او فى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فى السن او القدر وذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون فى مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيئسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا

واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى الراى وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شانه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره فى يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لى ابى فى الرجوع او يحكم الله لى او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرى سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصاع استخرج من وعايه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك المواثيق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسئل القرية التى كنا فيها يعنى مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم عن القصة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يوخذ بسرقته فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر انه هو العليم

بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرهما وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على
يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء
المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات
وكان غضا اخذ بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة
من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه
ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة
محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله عم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره
فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ
من كظم الغيظ اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف
اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه
لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا
مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين
قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد
منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع
الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك
الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب
الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من
رحمته التي يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف

فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة
ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها
من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل
الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق
علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة التصدق
تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل
مطلقا ومنه قوله عم في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى
به ثواب من الله تع قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده
عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته
وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة
وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب عم في تخليص بنيامين وذكروا له ما فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه
فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت
يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه
وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه
الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه
به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي من يتق الله تعالى
ويصبر على البليات او على الطاعات عن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير
للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن
الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب
عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع
الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب
والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم
حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب

ومن كرم يوسف عم انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك قد دعوتنا بالبكرة والعشي الى الطعام
ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي
واني من حفدة ابرهيم عم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي
كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اي يرجع بصيرا اي يبصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين
بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضر اني لاجد
ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان
تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان
عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف وايثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان
جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه
على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام
مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسئل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
اخره الى السحر او الى صلوة الليل او ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف
او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام
يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عم وقال ان الله قد اجاب
دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان
قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليهم رواحل واموالا ليتجهزوا اليه بمن معهم واستقبله
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا
حين خرجوا مع موسى عم ستمائة الف وخمسين مائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والعجزة اوى
اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الاب كقوله واله اباك ابرهيم واسمعيل واسحق
او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط واصناف

واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان السجود كان عندهم يجري مجراها
وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر
عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام
الصبى قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا
عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف
لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح
والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته على وجه تقتضي الحكمة روي ان يوسف عم طاف بابيه في خزائنه
فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي ثمان مراحل
قال امرني جبريل عم قال او ما تسئله قال انت ابسط مني اليه فسئله قال جبريل الله امرني بذلك
لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني
من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض
مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادي او منادى براسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا
والاخرة الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة
الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب عم اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى
ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه وعاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت
نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفيه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا
بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عم الى مدفن ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من
راعيل افرايم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ
يوسف والخطاب فيه للرسول عم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم
اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك
لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله

معهم ص المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته والما حذف هذا الشق
استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله تع ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم عليه
على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تع للعالمين عامة وكاين
من آية وكم من آية والمعنى وكاين عدد شيئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده
في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ
والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده
وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة
او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا
ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر بقوله ادعوا الى
الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة
حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها
من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء
النساء يوحى اليهم كما اوحى اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة
والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة
خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن
عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل
عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا
انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير

الضمير للمرسل اليهم اي ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم
والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن
عباس رض ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب
على طريق الوسوسة وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد
اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم
قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين
وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب
على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجى ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المستثنين
لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة
عن شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين
يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط
او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي عم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية
بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة
الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف
العام على الخاص او احد الوصفين على الآخر او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة وتعريف
الخبر ان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق
المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا
وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود
كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو
دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا

المنهاج ساير ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكاينات وبقايها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة
يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة تنقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر
امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة
او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان
من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت
عليها الاقدام وتتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية
والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب
لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين
اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو
مظلما بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها
فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع
متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر
وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع
لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان
نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في
جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورايحة وطعما وذلك ايضا مما
يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا
ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله
يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث
فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات
المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول

المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا
محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك
الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من
قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة
بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرى المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء
العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به
دليل جواز العفو قبل التوبة فان التايب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة
لمجتنب الكباير او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن يشاء وعن
النبي عم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي
موسى وعيسى عم انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به
نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو
الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تع لكن لا يهدي الا
من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضايه وقدره
تنبيها على انه تع قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد
وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضايه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها
او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه
وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان
عند ابي حنيفة وروي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل
نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال ان شيخ اجرى شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل

بطن حسنة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبإ بالليل وسارب بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل او سارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله لهم له معقبات لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوا او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان

سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنه سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله عليه السلام قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف باستعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله عليه السلام بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله

يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على الحقيقة فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاءوا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او المفعول له بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا ويدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يستوي بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها اي بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية اي طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان

على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين وضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولو الالباب ذوو العقول المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ومخالفة الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان ويتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا

قوله سوء الحساب يدل على انه ما قبله خوف الجلال والمهابة لئلا يلزم التكرار

قوله وانفقوا الخ المراد الزكوة المفروضة فان لم يتهم بالترك فاداؤها سرا اولى وان اتهم فاداؤها علانية وعمل السر اداؤها الى الامام وقيل هو داخل في صدقة التطوع ويؤدى سرا والعلانية ترجع الى المفروضة

541

بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اى جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع فى يدخلون
وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم
تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن
بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان
مجرد الانساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف
قايلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام
فان الخبر فاصل والبا للسببية او للبدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم بسكون
العين بنقل كسرتها الى الفا بغيره والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد ميثاقه من بعد
ما اوثقوا به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم وسوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اى اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الدنيا
وما الحيوة الدنيا فى الآخرة فى جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى
انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه قليل
النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات ويهدى اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب
من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى
اهتدائهم وان نزلت كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل ادنى منه من الآيات الذين آمنوا
بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر
رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلايله على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى
المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى
لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع
والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ارسلناك فى
امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذى اوحينا
اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم بالبليغ الرحمة الذى
احاطت بهم نعمته ووسعت كل شىء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارساله اليهم

542

وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكة
حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى لا اله الا هو
لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب مرجعى ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن والمبالغة فى عناد الكفار وتصميمهم اى ولو ان كتابا
زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية
فى التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد
ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا
به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت
وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على الذكر الحقيقى بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شىء
وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان
ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم
مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة
من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس
بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره
افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم
فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه عم كان لا يزال يبعث السرايا فيغير حواليهم ويختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل
خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتى وعد الله الموت او القيمة او فتح
مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب فى كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين
كفروا تسلية لرسول الله عم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
فى دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها

بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف
تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على الخبر المقدر للمبتدا اي افمن هو
بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق
للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم
ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما
لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم
بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي
كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم
تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوا او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر
وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل
والاسر وساير ما يصيبهم من المصايب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله
من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة
وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من
تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها
الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العايد المحذوف من الصلة اكلها دايم
لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة
عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين
واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب
كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان
وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله عم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر
بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به
جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين

في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع
والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره
واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا
ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكار المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال
المشتمل على اصول الدين المجمع عليه انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك
اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله
من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمومنين على الثبات في دينهم
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان
لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية يقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه
الملي بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما
يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التايب ويثبت
الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما راه
وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات
وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتاب وهو
اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف
ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا
الحساب المجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه
اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب
لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي
غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاين لا يمكن تغييره
ومحل لا مع النفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة
بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمومنين منهم فلله المكر جميعا
اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد

جزاها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا

كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار

بما تعرف وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا

والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد

روساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد

يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو

ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اى وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي

لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر

وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتداء والظرف

خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلعم من

قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى

يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالى سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اى هو كتاب

انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور

الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج

او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف

على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص

الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على

قراءة نافع وابن عامر مبتداء وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز

لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم

يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم

يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان

المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان

وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا نكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن

تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل

الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه على

انه مبتداء خبره اولئك في ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال

فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان

قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسير وسرعة ثم ينقلوه

ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلعم بانذار

عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن

ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها

وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش

ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلعم وان

الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عم او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله

ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء

فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل

ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك

من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء

في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم

الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلاياه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلاياه

ويشكر لنعمايه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه

لما يجب من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر

عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اى اذكروا نعمة

وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت

بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب

ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا

غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا

وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله
اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة
واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى عم وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من
التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل النعمة عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة
الكرام الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قال محذوف او مفعول تاذن على انه
يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني
عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى عم او كلام مبتدا من الله تع والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة
وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى عددهم لا الا الله تع ولذلك قال
ابن مسعود رض كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها مما جاءت به
الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا او استهزاء عليه كمن غلب
عليه الضحك او اسكاتا للانبياء عم وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت
به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم
وعلى هذا المحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي
مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها فلم يقبلوها فكانهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء
قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي
انما يدعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك فاطر السموات
والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اي يدعوكم
الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو
ما بينكم وبينه تع فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء من في خطاب الكفرة دون المؤمنين

المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار
مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مسبوقة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تع وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث
من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوة فاتونا بسلطان مبين يدل على
فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات
والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى
ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيته تع وما كان
لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي
بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشية الله تع فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به
انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا ان لا نتوكل وقد هدانا
سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن
على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله
فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل
او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول
ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على
اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم
كقوله تع واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد الحكومة يوم القيمة او
قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي

الموعد للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء عم وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان الكلام سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله تع معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه مترصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجوانب وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنتهم التي ارسل الله تع عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ~~اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنتهم~~ ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرئ الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله تع والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم يحسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي عم والمراد امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي

والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله تع ومحاسبته او لله تع على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تع فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تع عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشيء الذي هو عذاب الله تع ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض الشيء هو بعض عذاب الله تع والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجا ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان

اى البعث والحساب

تسلط فاجبتكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي
فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم
ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه
اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم
من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض
في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف
فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته
واعطيتك وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني
اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة
يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي
اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت
امره بالسجود لآدم عم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم
تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها باذن ربهم باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن
ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا
كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله
مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي
ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه
الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني
ابلغ تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل حين اقّته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها
وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه
تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت
واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة

والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا
الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا
وشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في
دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون عم والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون
اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال
ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول
ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق
ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها
سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام عليهم
ابواب رزقه وشرفهم بمحمد عم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء
فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رض هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما
بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر
دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن
لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي
يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان
الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به
من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية
ومفعول قل محذوف دل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة
وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه

كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في
قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا
وانفقوا المقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرطين وجوابه ولان امر المواجهة
لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر
وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان
الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره
او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل اي من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة
وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تع وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله
الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل لكم من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل
عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم
وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما
واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتيكم من كل
ما سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه يعني من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما
في قدرة الله تع ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سيل او لم
يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال
اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها
فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة
مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة
الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد
الاصنام واجعلنا منه في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما على اهل الحجاز فيقولون جنبني شره

شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تع وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع
ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عم لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون
بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من
الناس فلذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية
كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك
غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره
حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من
ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني
وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا يهابه
الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول
ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عم
فولدت منه اسمعيل عم فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله
عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا
اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي
ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير
النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل
لام الامر والمراد هو الدعاء باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله تع ان يوفقهم لها فاجعل
افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة الناس وقرئ آفدة وهو
يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة
يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون
من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد او قرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره
وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تع دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات

كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتنا وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والتجاء الى الله تعالى وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب وانا كبير آيس عن الولد قيد حال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاي واستجب دعاي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء عم وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله عم والمراد به تثبيته على ما كان عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافيه والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابن عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنهم من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه

منه ولا قوة وان ذمي من الظلمات جوفه هواء او فسل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثاني لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي عم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كان مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض تقديره والسموات غير السموات والتبديل

يكون في الذات كقوله بدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن علي رض
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رض يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رض هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رض
انه عم قال تبدل الارض غير الارض فيبسط ويمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم
انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل
الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب
الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة
على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب
مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا
من العقائد الزائغة والملكات الباطنة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان
يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره
والصفد القيد وقيل الغل قال السلامة بن جندل وزيد الخيل قد لا في صفادا يعض بساعده وبعظم
ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابل
فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى
به جلود اهل النار حتى يكون طلاوه لهم كالقميص ليجتمع لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس
من الملكات الردية والهيات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطر آن
والقطر النحاس او الصفر المذاب والآن المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي
خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي
يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة ومطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون

معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم وتعين ذكره ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع
الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او الى السورة او ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا
ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل
او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه
من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل
للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي عم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقرآن
مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع
لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين
عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ
ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها
وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى
كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
في كل ساعة وقيل تدهشهم احوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم
الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون
سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان
وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول
الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة
صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورة الحال ادخلت

عليها تأكيد للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اى وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى عم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القران لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشىء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين فى دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرى تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة فى ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى عم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك فى شيع الاولين فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا ان حالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى عم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله فى قلوب المجرمين والسلك ادخال الشىء فى الشىء كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر فى قوله لا يؤمنون به وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم

بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فهو وعيد لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا فى السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رض انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عم منعوا من ثلث السموات فلما ولد محمد عم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد تطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها فى الارض او فيها وفى الجبال من كل شىء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرى بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وساير ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك فقال وان من شىء الا عندنا خزائنه اى وما من شىء الا ونحن

قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزاين مثلاً لاقتداره او شبه مقدوراته
بالاشياء المخزونة التي لا تحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من ايقاع القدرة الا بقدر معلوم
حدّه الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات على بعض الصفات
والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من
انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحا بالشجر والسحاب ونظيره
الطوايح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوايح وقرى وارسلنا الريح على تاويل الجنس
فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين
من اخراجه نفى عنهم ما اثبت لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل
على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس
فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة
في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير
الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين
من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من
تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله عم
في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله عم
فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة
للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق
الوعد والتنبيه على ان في الحشر ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل
على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا
الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا
انتن تضعيف صلّ من حماء طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي
كاين من حماء مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويصور كالجواهر المذابة
تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحماء فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن

منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن
وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجن لما كان من شخص واحد
واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل
من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق
الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة الغالب
فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب
كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين
فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والحياة واذ قال
ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته عدلت
خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ
اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض
عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن
نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد
الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة
وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا
الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان
جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سايل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض
لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم عم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي
ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حماء مسنون وهو اخس العناصر
وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم عم بحسب النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة
الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك
اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان
الجزاء وما في قوله فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل

فاخذ اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس اولانه يعذب بما ينسى اللعن معه فيصير كالزايل

قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون

اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى

الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله تعالى

وانقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة

واختلاف ~~الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور~~ العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا

بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن

التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول

اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب

ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما

مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا

التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل

للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبيب له بامره اياه بالسجود لآدم

او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب زيادة غيه وتسليطه له

على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم

يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب

ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك

وطهرتهم من الشوايب فلا يعمل فيهم كيدي وقرى ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن

اي الذين اخلصوا انفسهم لله تعالى قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة

الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوايه او الاخلاص على معنى انه طريق علي

يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرى علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك

عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم

المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم

ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان

لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى

الاول يدفع قول من شرط ان يكون الاستثناء اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين وان

جهنم لموعدهم لموعد الغاوين والمتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال منه والعامل فيها الموعد

ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة

ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى

ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات

في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق

لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود

والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع

للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرى جز على حذف الهمز والقاء حركته على الزاء

ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او المستكن في الظرف لا في

مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان

غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان

ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وقرأ نافع

وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها

على ارادة القول وقرى بقطع الهمز وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما

عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا ما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في

صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رض ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من

التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او

الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين

ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متاخين وان يكون متقابلين حالا من

المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين

وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب

الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي

الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد

وتأكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على ونبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا
بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره قالوا لا توجل
وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى
التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق
لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع
مس الكبر اياه وانكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة
تبشروني او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير
بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون
الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين
من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب
ابرهيم عم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون
طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال الله تعالى لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم
ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة
لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه
في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء
من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان
المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه انا لمنجوهم اجمعين
اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء وبال لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف
الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين

الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النحل بالتخفيف وانما علق والتعليق
من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى
القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم
من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم
مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم
وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف
من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال
افتح الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل بهم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم
وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او
فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر
فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك
عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر
وتعظيم وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء
وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي
فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من
الخزي وهو الهوان او ولا تخجلوني فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس
وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود
ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عم وقيل لوط قالت
الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور
على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب
الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض

فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هايلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي اقرانهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك
لايات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته وانها وان
المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك لاية للمؤمنين بالله ورسوله
وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكة الشجر المتكاثف فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه كان مبعوثا اليهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء
لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه بالمؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه
واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها
وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلايم استمرار الفساد ودوام
الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لاتية فينتقم
الله تع لك ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم
بحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف
عثمان وابي رض وهو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا
سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة
ولذلك لم تفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم وقيل سبع صحايف وهي الاسباع
من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه
ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله تع بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى
ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله تع كلها فتكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الآيات

او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف
احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك ولا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
وفي حديث ابي بكر رض من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وروي انه عم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع
البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله تع فقال لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله تع نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا
اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عم وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك
فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او
اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان المراد بالقران ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية
لرسول الله عم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراض ممد لهما عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من
عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله عم
العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة رض العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه
والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع
بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة
والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع واعرض عن المشركين
فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف
قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود
بن عبد المطلب يبالغون في ايذاء النبي عم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله عم امرت ان اكفيكهم

فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك افزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عم انه كان اذا حزنه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله عم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله وثب النبي عم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول تحقق ما يوعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان

ان انذروا بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهي رميم روى ان ابي بن خلف اتى النبي عم بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلقن لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل

لمى على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها
الركوب واما التزين بها فحصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او
مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل
فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان
الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون
لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز
ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب
بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها
رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك
اضاف اليه القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه
ليس بحق على الله ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى
القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء
هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من
السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن
تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله
فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي
وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة
لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام
فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح
بالاجناس الثلثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل
ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق

وينشق اسفلها فيخرج منه عروق ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل
كل على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثير الفلكية
الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية
لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع
اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او
لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها
فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد
لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع
وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس
والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة
ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف
على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف
باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع
صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله
ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف ان لا ياكل لحما
حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا يرى ان الله
سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ
والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن
مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله
من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه
بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل
ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها

نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت
الملايكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا
لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله تع وعلامات معالم يستدل
بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار
والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء
في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل
وبالنجم خصوصا هولاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق
كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق
ما عدد من مبدعاته لان يساوي ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شي من ذلك بل على ايجاد شي ما
وكان الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله تع مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام
واجراها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين
من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالجماد عنده
افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلايه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده باول تذكر والتفات
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك
تعداد النعم والزاما للحجة على تفرده باستحقاق العبادة [...] ما وراء ما عدد نعم لا تحصى وان حق
عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم
فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم
وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والالهة الذين يعبدونهم
من دونه وقرا ابو بكر يدعون بالياء وقرا حفص ثلثتها بالتاء لا يخلقون شيا لما نفى المشاركة بين
من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات
تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي
ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا وما لا غير احياء

احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما
يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزائهم
على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على
ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجة فالذين لا يومنون
بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم
ايمانهم بالاخرة فان المومن بها يكون طالبا للدليل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر
بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا
الى المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله
والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن
الذين استكبروا عن توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على
التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير
الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين
لا حقيقة فيه والقايلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك
اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار
الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي
يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا
بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بيس شيا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله عم فاتى الله بنيانهم من القواعد واتاها امره من جهة العمد التي بنوا بها
فتضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم ويعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول

اين شركايي اضافه الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون المومنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المومنين كمشاقة
الله تعالى قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء والذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم
ويتكبرون عليهم او الملايكة ان الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفايدة قولهم
اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكاية لان يكون وعظا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملايكة وقرا حمزة
بالياء وقرى بادغام في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب
المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قايلين ما كنا نعمل
من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اى فيجيبهم الملايكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم
الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لا يجوز الكذب يومئذ
ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد هو الله تعالى
او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعنى المومنين ماذا انزل ربكم قالوا
خيرا اى انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السوال معترفين
بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي
فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المومنين قالوا له ذلك للذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة
للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا
ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز
ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي
تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزى الله المتقين مثل هذا الجزاء
يجزيهم وهو يويد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملايكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه
في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملايكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه

لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل
ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملايكة بقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء
او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم
المودية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء
باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك
استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما الفايدة
فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة
لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجيا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده
تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله تعالى وحرموا حله وردوا رسله
فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يوثر في هدى من شاء الله
هداه لكنه يودى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب
قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة
الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه
بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله تعالى
واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ
لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلال
وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا
في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
ان تحرص يا محمد عم على هداهم فان الله لا يهدى من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى من حقت
عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى من يضل على المفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال

الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده
ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر موكد لنفسه وهو ما يدل عليه بلى
فان يبعث موعد من الله تعالى عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة
اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت
عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين
لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا
يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان
امكانه وتقديره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل
فكما امكن تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي
فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله عم والصحابة
المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة والمحبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة رسول الله عم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله
في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة وعلى المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما
يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا
ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا
ان الله يجمع لهولاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدايد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع
على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية
بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملايكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة
الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون
وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا

رسلا معناه الى الملايكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال
ورد بما روى انه عم راى جبريل عم على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء
الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه
جواب قايل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا
الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحي
على المفعولية او الحال من القايم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان
الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس
ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه وما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص
بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا
للحقايق افامن الذين مكروا السيات اي المكرات السيات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول
الله عم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين
او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص
شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال
عمر رضه عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم
فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا
امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة
بيانها يتفيؤ ظلاله اي اولم يروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي تروا بالتاء
وابو عمرو وتتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمايل عن ايمانها وشمايلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة
من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمايل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله
وجمعه في قوله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمايل سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في قوله ظلاله
والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل

وسجد العبد اذا طأطأ راسه ليركب او سجّدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب
الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من
يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له
فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب
واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد
الارادية وتأثير الطبيعة او الانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات
والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة
عطف على المبيّن به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجرد على الجسمانيات وبه احتج من
قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا
وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله
حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم
من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة
حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون
من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية
تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون
الالهية والتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياى فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في
الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لا غير وله ما في السموات
والارض خلقا وملكا وله الدين اى الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب
منه وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال الله تعالى وما بكم من

من نعمة فمن الله اى اى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار
الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه ثم اذا مسّكم
الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف
الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما
فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على
ان يعتبر بعضهم لقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم
كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها
جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له
محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة بالتقرب
اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب
بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ
واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله
مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوّ غيظا
من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا
في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ وقرئ بالتانيث
فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن
خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن
صفة المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم
وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك

لما بين كفرهم واقوالهم القبيحة ذكر انه يمهل ولا يعاجلهم بالعقوبة فضلا منه ورحمة فقال ولو يؤاخذ الله الناس الخ

الاباء بكفرهم لم يبق الابناء ولكن يوخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس
واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عم لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم
ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركا اي الرياسة والاستخفاف بالرسل
وارذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله تع كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم
واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرا نافع بكسر
الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط
في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا
بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم
القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة
المتقدمين اعمالهم وهو ولي هولاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي
القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام
الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفات على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية
لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم
مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هاهنا للفظ وانثه في سورة المومنين للمعنى
فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياس ومن قال
انه جمع جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع
وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة في الكرش وعن ابن عباس رض
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان
صح والمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي تغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما

يهضمها ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على
قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء
بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين
فاذا انفصل انصب ذلك او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية فيصير لبنا
ومن تدبر صنع الله تع في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب
المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته
ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث
والدم المحل الذي يبتدى منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره والتنبيه
على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء
الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها
وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر
لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين
الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر
ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها
والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعام قاله جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك
لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف
في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول
وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض
لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه

لتعسّل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من جنس الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها
الا حذاق المهندسين الا بالالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ
بيوتا بكسر الباء للياء وقراءة ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل
ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي تحيل فيها بقدرته النور
المر عسلا واجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة
الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة
ذللها الله وسهلها لك او من الضمير اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل
به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل و
الهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار و
والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط
بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا
فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض
واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض
البلغمية او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير
فيه للتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله فقال ان اخي يشتكي بطنه
فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد
صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير
للقران او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر
اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة
وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان
وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه
تنبيه على ان تفاوت اجال الانسان ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم

امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك
على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم بمعطي رزقهم على مماليكهم فانما يردون
عليهم رزقهم الذي جعل الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم والجملة لازمة
للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته
في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون
حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او
حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر
وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم
لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة
واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل
الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين
ورزقكم من الطيبات من اللذائذ والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها
افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما حرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة
الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل
اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل
منه ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد
في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد
فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله
يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون
وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جراتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه
فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء

ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمومن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا على العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس يحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمومن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب منه وامرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فان الله تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن او للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه كلمح البصر او اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر لن يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين الجهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية

وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات تسخير الطير بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لآيات لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم يوم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم وضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كما تم هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدرع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عم عرفوها

بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وفيه دليل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اى العذاب ولا هم ينظرون الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الاصنام حينئذ او في انهم حملوهم والزموهم اياهم لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء

وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية لا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصار سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه أكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه

بعد التقمص تاكيدا او مبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد
اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء
العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض
البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا
عهد الله وبيعة رسوله عم ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد
ينقضي وما عند الله من خزاين رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل
الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف باحسن ما كانوا
يعملون بما يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا
من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق
الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش طيبا فانه ان كان
موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم
في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات
ان يتهنا بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران
اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله
ان يعيذكم من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على
ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل
الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود رض قرات
على رسول الله عم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عم عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة
بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه

ويطيعونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان
المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة
بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يصير مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو
ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه
وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم
ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله
روح القدس يعني جبريل عم واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا
ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مندرجا على حسب المصالح بما يقتضي
التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان لانه كلامه وانهم اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين
المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي
غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل
وكان الرسول عم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد
اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي رض لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل
الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء لسان
اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال
طعنهم وتقريره يحتمل الوجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي
تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع
كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو
من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك
العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه
كليمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل
على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق

او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقران بعدما
اماط شبههم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي
الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات
اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت
مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من
اولئك او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم
وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان
الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان
الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه وروي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على
الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال
فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل
يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه
ودمه فاتى عمار رسول الله عم وهو يبكي فجعل رسول الله عم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد
لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا
للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في
قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله عم فقال اما الاول فقد
اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين
اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ
ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما

من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار رض بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هولاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر
فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا
وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل
رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها
تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت
جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم
انعم عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف
ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او انعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار
الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه
بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف
والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي
ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا عم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد ووقعة
بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم
بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية
ومذاهبها الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم
والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام

بدل منه او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا او لا تحلوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف
السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها
وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ
الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب
لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان
المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او
ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما
قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق
بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا عليه
وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله تعالى وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب
لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها
من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماع فضائل
لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله تعالى بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس
الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك
عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده
مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده
او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما
قانتا لله مطيعا قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا
كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم عم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم
القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله تعالى وآتيناه فى الدنيا
حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا

طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقنى بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد عم وثم لتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول عم ملته
او للتراخى ايامهما ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى
والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت
والتخلى فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عم ان يتفرغوا للعبادة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت
وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا
الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت
بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل
فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى
لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى احسن
بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الايسر والمقدمات التى هى اشهر
فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل
الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة
وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك
عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر
والضلال وقيل انه عم لما رأى حمزة رض وقد مثل به فقال والله لئن اظفرنى الله تعالى بهم لامثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز
وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اى الصبر خير
للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله تعالى
ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على
المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق وهما

للقتال كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيّق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عم من قرا سورة النحل لم يحاسبه بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية سورة بني اسرايل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عم بالبراق او من الحرم وسماه مسجد الحرام لانه كله مسجد ولانه محيط به ليطابق المبتدأ المنتهى لما روي انه عم كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثّل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رض فقال ان كان قال لقد صدق قالوا انصدقه على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طايفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعت لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال يقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش منه واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام

في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تع قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عم ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد عم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرايل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ليلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تع عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عم في السفينة انه ان نوحا عم كان عبدا شكورا يحمد الله تع على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عم وقضينا الى بني اسرايل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عم ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تع او لتظلمن فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد ذي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة

عليهم فوردوا اسرائهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر
او بان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا
فاذا جاء وعد الآخرة اي وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم
ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله تعالى ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ
لنسوءن بالنون والنون الخفيفة والثقيلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا
واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا
ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله الفرس
مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب
الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني
فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
فقال لمثل هذا انتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن
الله قبل ان ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا
مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد عليه السلام وقصدوا قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل
قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
محبسا لا يقدرون الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا
اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على
يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او
يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما
يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط

فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت اكتافه فدعا عليها
بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي عليه رحمة فنزلت ويجوز
ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر
خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فاجيب
له فضرب عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين يدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما
على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر
او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام
وجعلنا نيري الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة
النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع
يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا
به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب
وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدنيا والدين فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان
الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون و
يتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه
لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان
الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول
او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج
اي الله تعالى يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من
مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلة لانه اما بمعنى الحاسب
كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع
الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على
تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه

عبرة ولا يؤدي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى
بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا نبين الحجج ونمهد الشرائع فيلزمهم الحجة
وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا
باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت
ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها منعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك
ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق
المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة
على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقوله امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء فامر
امرا اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا
مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون
منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى
الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او انهماكهم
او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا
وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة
مقصورا عليها همته عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد فقيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة
لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد
بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم
الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا
التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك
معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله تعالى
اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله تعالى الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين

الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا للسالف هؤلاء
وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا
لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف
بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت
فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول عم والمراد امته او
لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء
اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى
ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان
لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل
لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين
احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون
المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى
الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك
ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما
وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين
وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ
به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع
الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله
حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذي بهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا
تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر
قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا
كما جعل لبيد في قوله وقد كشفت قرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما
وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان
والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد

والنفت منه ذلا من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل
رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين
لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري
وفاء بوعدك للراحمين وروي ان رجلا قال لرسول الله عم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما
ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل
ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير
وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه
كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جنايته لوروده على اثره وآت
ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا
محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عم والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير
التفريق وعن النبي عم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال اوفي الوضوء سرف قال نعم وان
كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر
او اصدقاؤهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل و
يتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغة في الكفر فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي
القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل
الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله تعالى ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين
له وهو لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز
ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله تعالى
برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول
الميسور هو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما وامر بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد

فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا
بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضه بينا رسول الله عم اذ اتاه صبي فقال
ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له
ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله تعالى ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان
البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى
يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا
لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وأدهم بناتهم مخافة الفقر
فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه
من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر
خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن
كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله
تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه من منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح
والمد وخطأ بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا
ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو
الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما
غير مستوجب القتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا
بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد
عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان
العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة
ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على

الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة
بالثواب واما لوليه فان الله تع نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعاونته واما
للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال
اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز
التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله تع من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من العاهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة
باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل
اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي معرب ولا
يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب
والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن
تاويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه
ومنه القيافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع
الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا
واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور
ويؤيده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تع في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول
الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفوا الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة
على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم
القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها ضمير كل
اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى
يسأل صاحبه عنه وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مواخذ
بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في
الارض مرحا ان تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا تطاولا وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا يعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال

الخمسة والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن مسعود رض انها المكتوبة في
الواح موسى عم كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكور مأمورات ومنهيات وقرأ الحجازيان والبصريان
سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها
بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من
المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تع ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى
اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه
على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وان من لا قصد له بطل عمله ومن قصده بفعله او تركه غيره ضاع
سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته
في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تع افاصفاكم ربكم
بالبنين خطاب لمن قال الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد
وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة تقتضي الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم
عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد
صرفنا في هذا القرآن في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ
حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه
قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان
الكلام مع الرسول عم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان
الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا
بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم
كقوله اولئك الذين يدعون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا
تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود
والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال

يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بفتح اليا انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة
على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل
مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من
الايات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين
على الضلالة كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي
منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القران وحده واحدا
غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم
نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن
اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم
وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين
هم ذوو النجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على
ان تناجيهم بقولهم هذا او المسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا
رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن
والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون
كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال

اوحال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة
لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف
اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون
اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل
ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره
والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة
للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال
منهم اي حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين
يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج
بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن
وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم
على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله تعالى وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم
تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم وروي ان
المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله عم فنزلت وقيل شتم عمر رض رجل منهم فهم به فامره
الله تعالى بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من
يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عم فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من
الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله عم فقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه
تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور لانه في الاصل
فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس

والفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه السلام
قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل
من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان
يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش الا ان
كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت
لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان
لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات
المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم
ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او ظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات
اي بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة
كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة
والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة
بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به
من قال انه كان في المنام ومن قال انه في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل
مكة وفيه تنبيه لان الآية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله
اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع
فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون
عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة
للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون

ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا
ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد
المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت
به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة
مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشياطين وابي جهل والحكم بن ابي العاص
وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع
التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء
بعلة الانكار قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن
هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدا
واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر
ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم
ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا
من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين
ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب
ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك
عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة
لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك
الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من
راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع كالصحب والركب
ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار وقع صوته على قوم فاستفزهم من اماكنهم
واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان
كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها

من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان الزايغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين تخصيصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوايهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعونه لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم الا الله تع فلما نجيكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى يمكن في المعاني فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قادر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان نخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله تع وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرا ابن كثير وابو عمرو نخسف بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجيكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود

الى ما يعود عليهم من المنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصايه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضه وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويدعى ويدعوا وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالات بها فانها ليست الا علامة الرفع وهي قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا تفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة باتيان الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرا الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل اي الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل

ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ثم نحرمه وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى
تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم
ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفترى علينا غيره
غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم
بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل
الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عم ما
هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تع وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطاء الخطير خطر وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيف كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد
بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يدفع العذاب عنك وان كادوا اي وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم
من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمنا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الاية نزلت في
اليهود حسدوا مقام النبي عم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق
بها حتى نؤمن لك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النظير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم
فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر
اي سن الله تع ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة

فالسنة لله تع واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة
لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عم اتاني جبريل عم لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر
وقيل لغروبها واصل التركيب الانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا ما تركب
من الدال واللام كدلج ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه
ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلاة
العشاء الاخيرة وقرآن الفجر وهو صلاة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا
واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو
فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن
الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير
والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال وصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب
وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت
ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل
فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة
لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو
مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رض انه عم قال
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة
وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى يبعثك
ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل
ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه
سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله
في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل
دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا

بنصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رض انه عم دخل مكة يوم الفتح وفيها
ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد
فرمى به فكسره وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي
من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا
لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه
لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من
عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هلنا وفي فصلت وناء على القلب او
على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله
قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة
او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين
منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن
الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد
من اصل كان عصا جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه
وقيل مما استأثر بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي
القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبرئيل عم
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا
تستفيدونه بطريق حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات بالمس
احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من
احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لم يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به

عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عم في جواب وما رب العالمين بذكر بعض
صفاته روي انه عم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة
الانسانية لم يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تع التي لا نهاية لها قليل ينال به خير
الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم
ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف
والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من تتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة
من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن
رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان
عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان يأتوا بمثل هذا القران في البلاغة وحسن النظم وكمال المعاني لا يأتون بمثله وفيهم العرب
العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاها لكان
جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر
الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية
تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان
للناس في هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى
اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمهم الحجة ببيان اعجاز
القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض
ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء
اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل
على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا من السماء يعنون بقوله تع او نسقط عليهم كسفا من السماء

وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القران الا في
الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما
مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا
بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال
الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فتكون حالا
من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء
في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان
ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت
الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم
حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها علي هذا هو الجواب
المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آية اخرى كقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا
عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي
وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم
عن الايمان بمحمد عم والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض
ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم
من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان
ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون
موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله
اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا
نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم
عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد
لهم اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي
انه قيل لرسول الله عم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما تقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا

مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا به ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤوفي القوى والحواس زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة
مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة
والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا
ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا
منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة
فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن
رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة
هذا الحذف والتفسير المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره
لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم وكان
الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان رض ان يهوديا سال النبي عم فقال ان لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد
بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى
متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا حكم مستانف
زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من
فرعون ليرسلهم معك او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله عم فسال على لفظ المضي

617

بغير مهمز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او بسال على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرايل عما جرى بين موسى عم وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتسلي نفسك او لتعلم انه تع لو اتى بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هولاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصاير بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب وظن موسى عم يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرى وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل او الاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون او اغراقه لبني اسرايل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فما عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرى بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتودة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرى بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا

618

اولا تومنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تومنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قراوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تع او شكرا لانجازه وعده في تلك بعثة محمد عم على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كاينا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله تع وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تع قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله عم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المومنين وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رض كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رض كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله عم ابا بكر رض ان يرفع قليلا وعمر رض ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا

بالاخفات نهارا والجهر ليلا وعلى الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عم كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتنافي المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي اراد به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه

في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله عم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية ابن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همدا او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج

عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء، وقال آخر كان لي فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغني عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله تع فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارجع حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير به راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله

والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يوجد الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله تع ويعبدون الاصنام كساير المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه يكون اخبارا من الله تع عن الفتية بالتوحيد معترضا بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تع وقرا نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رايتهم والخطاب لرسول الله عم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تع زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاء وقرا الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهوى ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المشرق وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل الهواء ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شانهم وايواؤهم الى كهف كذلك واخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تع للتامل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات

623

اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض مايليهما من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تع وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه تحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تع فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرا وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملا صدرك بما البسهم الله تع من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاويه انه غزى الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هولاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تع من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية على كمال قدرتنا بعثناهم ليتساءلوا بينهم اى ليسال بعضهم بعضا فيعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تع قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار آخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم فى يومهم او اليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرا ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما او غير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم اى يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم فى ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم ليزدادوا بصيرتهم اطلعنا

الى المدينة وهى التى خرجوا منها واسمها افسوس الان طرسوس بتغيير شيون وغيره

624

٢١
٣
فتيل سبحانه اصحاب الكهف يحييهم الله فى زمان عيسى عليه السلام ويكونون مقدمة عسكره ناصرين لدين الاسلام معه تفسير شيون

اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذى هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثماية سنة حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقولون تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقولون يبعثان معا ليرتفع الخلاف وليتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله تع بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طايفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تع فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله تع ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد رسول الله عم او من المتنازعين للرد الى الله تع بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هولاء فانطلق الملك واهل المدينة من مومن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا مسجدا سيقولون اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول عم من اهل الكتاب والمومنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران كان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطايفة بعدما حصر اقوال الطوايف فى الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة

قال ابن عباس انا من اولئك القليل كانوا سبعة وثامنهم كلبهم

علىان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رض سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاحوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراءً ظاهرًا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرًا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدًا ولا تسئل احدا منهم عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال متعنت تريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله تع لنبيه عم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل فيما يستقبل الا ان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عم ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم تحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل

٣١٣

الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ان علامة الجمع ههنا فيه جبر لما حذف وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلثمائة قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله تع ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل واحد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على قصة اهل الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عم على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول عم ان يزدري بفقراء المومنين وتعلق عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعايك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غلظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي

اى لم نسمه بذكر كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهره بما ذكر ولا تقول واتبع
هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
عن ذكرنا اياه بالمواخذة وكان امره فرطا اى متقدما على الحق ونابذا له وراء ظهره يقال فرس فرط
اى متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز
ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالى بايمان
من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته ليست
بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار
وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار
وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على
طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء
تنضج الوجوه من حره
او حال من المهل والضمير فى الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف
تقديره من احسن عملا منهم ومستغنى عنه لعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد
او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة اطلاقه الاعلى الذين امنوا وعملوا الصالحات
او اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان
الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور
وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار فى جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان
الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع
بين النوعين للدلالة على ان فيهما ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر
كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم
مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بنى اسرائيل كافر اسمه
فطروس
قرطوس ومؤمن اسمه يهوذا اورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعا
وعقارا وصرفه المؤمن فى وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بنى
مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله عم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما

وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته
بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا
ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق
كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم
منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا
وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان
له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه فى الكلام
من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون
معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو
ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون او لاتصال
كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون فى واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها
بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره
بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربى بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها
من جنته وقرأ الحجازيان والشامى منهما اى من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية
وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله له واستحقاقه
اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب
لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك
وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك
فى كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه
منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل
الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف
فى الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل
اى لكن انا اقول هو الله ربى
وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله والله بدله وربى خبره
والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكنى مؤمن به وقد قرئ لكن
هو الله ربى ولكن انا لا اله الا هو ربى ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها

ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كاين على ان ما موصولة اى اى شئ شاء الله كان على انها شرطية
والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشية الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وانما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
فبمعونته واقداره. عن النبى عم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا
اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع
على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربى
ان يؤتينى خيرا من جنتك فى الدنيا او فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك
حسبانا من السماء مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحسبان والمراد به التقدير
بتخريبها او عذاب حساب الاعمال فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملسا يزلق عليها باستيصال نباتها
واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر
ترددا فى رده واحيط بثمره واهلك امواله حسب ما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط
به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا
جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها فى عمارتها
وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اى متحسرا
على ما انفق فيها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتنى لم اشرك بربى احدا كانه تذكر موعظة
اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من
الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون
على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك
وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك فى ذلك المقام وتلك الحال الولاية
لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه
المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
اى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائى بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب
ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على
ان قوله يا ليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ
حمزة والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون

بالسكون وقرئ عقبى بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبهه الحيوة الدنيا
فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى
صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته
وتكاثفه او نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن
لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا
تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة
من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن
لم يكن وكان الله على كل شئ من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا يتزين بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال
الخيرات التى تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج
وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند
ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا لان صاحبها ينال بها فى الآخرة ما كان يامل
بها فى الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها فى الجو او نذهب بها فنجعلها هباء
منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند ربك ويوم القيمة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض
بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم
وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم
قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر
نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل
وعرضوا على ربك صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون
حالا او عاملا فى يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شئ معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا
فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث
والنشور وان الانبياء عم كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف
الاعمال فى الايمان والشمائل او فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين

مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات. ما لهذا الكتاب تعجب من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدّها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملايم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرر في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك الحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده واتباعه وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعضهم ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشراك فيه يستلزم الاشراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول عم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافر وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي وشفعاؤكم ليمنعوكم

لينفعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة وهي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليها ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقران المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسول عم ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يسمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يستمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله عم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا

من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا التجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود
واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير
مضاف في احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي
وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا
بهم ولا يغتروا بتاخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم اي لاهلاكهم وحفص بكسر
اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه
يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عم فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل
لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين
من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ
هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى
لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس
والروم مما يلي المشرق وعد لموسى لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عم فان موسى كان بحر
علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا
ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون
روي ان موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة واعجب بها فقيل
له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تع اليه بل عبدنا الخضر في ايام افريدون وكان
على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عم وقيل ان موسى عم سأل ربه اي عبادك احب
اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال
فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده
عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال
على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما
ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى عم ان يطلبه ويتعرف حاله
ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى عم رقد فاضطرب الحوت المشوي

المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه
فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ
سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية
الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل
ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه
الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى عم في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارأيت
اذ أوينا ارأيت ما دهاني اذ أوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل
هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه
الا الشيطان اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو
اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما
جرى بمشاهدة امثالها عند موسى عم والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار
وانجذاب شراشره الى جانب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه
او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في
البحر عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر
اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه تعجبا من تلك الحال وقيل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت
قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في
الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس
آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا
وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال
من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما
لغتان كالبخل وهو مفعول ان تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان
من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته
وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون

اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية
التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم
عليه بتعليم بعض ما انعم الله تع عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر
معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها
لم يحط به خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبر قال ستجدني ان شاء الله صابرا
معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا غير عاص او على ستجدني
وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على
خلاف المعتاد شديد قد يتخلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تع قال
فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء فلا تفاتحني بالسوال عن شيء انكرته مني ولم تعلم صحته حتى احدث
لك منه ذكرا حتى ابتدئ بك ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على
الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين
من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها
وقرئ لتغرّق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت
شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما
ذكره قال لا تواخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني
اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المواخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد
بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد
شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا بالمضايقة والمواخذة على المنسي فان ذلك
يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه
وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل اخذ
عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من
غير ترو واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب
قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها

اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا
او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عم مستانفا
وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا
بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة
بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم
يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا
قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله عم رحم الله اخي موسى استحيى
فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب العجايب وقرا نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها
عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال
اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ايلة البصرة
وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه اذا
نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها
الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي
بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب
لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاض بالصاد المهملة من انقاضت السن
اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
قال لو شئت لتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول
لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه
واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الدال وادغمه الباقون قال هذا فراق
بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت
اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر

الى المظروف على الاتساع وقرى على الاصل سانبيك بتاويل مالم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن
فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين
لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت
ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى
بن كركر وقيل منوار بن جلند الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان
يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف
الغصب وانما قدم للعناية لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه
على اقوى الجزئين واعلمها وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرى كل سفينة صالحة والمعنى
عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما
بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره حبا وانما خشى ذلك لان الله تع اعلمه وعن
ابن عباس رض ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلعم عن قتل الولدان فكتب
ان علمت من حالهم ما علم عالم موسى فلك ان تقتل وقرى فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز
ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تع فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما بدله ولدا
خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه
قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تع به امة من الامم وقرا نافع
وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل
اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم
واسم المقتول حيسور وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما
في قوله تع والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يودي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل
من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل
كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدر الاراد

لان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك
ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله تع والى نفسه لان التبديل
باهلاك الغلام وايجاد الله تع بدله وثالثا الى الله تع وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين
او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات
الى الوسايط وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله تع ومبنى
ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرايع
في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن
فوايد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان
يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه
حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسالونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس
والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه
انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل
انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على
ايمانه وصلاحه والسايلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
خطاب للسايلين والهاء لذي القرنين وقيل لله تع انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف
فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم
والقدرة والالة فاتبع سببا فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأ وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها
مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره
غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رض سمع معاوية
يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك
تجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما
لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره
بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف
اي قال ذو القرنين

نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار
على الكفر واستمر على ظلمه الذى هو الشرك فيعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله يوم الآخرة
عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله فى الدارين جزاء
الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير
منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدل ويجوز
ان يكون اما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر
على الكفر والثانى لمن تاب ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالالهام او على لسان
نبى وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين
ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى يطلع الشمس
عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية
او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة
الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم
وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا تعلق بظواهره وخفاياه والمراد
ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين
المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما
سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل فى آخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما
يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما
لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث
يحدثه وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون اى السامع كلامهم ولا يبينونه
لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود رضى قال الذين من دونهم ان
يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح عم وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما
اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما
قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب

والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا يحجز عن خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى قال ما مكنى فيه ربى
خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة الى وقرأ ابن كثير
مكننى على الاصل فاعينونى بقوة اى بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا
حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتونى زبر الحديد قطعه
والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة
ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ايتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء
محذوفة حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى
بين الصدفين بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير والبصريان وابو بكر بضم الصاد وسكون
الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر
ومنه التصادف التقابل قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا اى الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ
فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتونى افرغ عليه قطرا اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا
فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين
على معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ
حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ
حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه
اى يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر
للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصبت النحاس المذاب عليه
فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة
من ربى على عباده فاذا جاء وعد ربى وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة
بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل
ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا كائنا
لا محالة وهو آخر حكاية ذى القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض وجعلنا بعض يأجوج

641

وماجوج حين يخرجون باوراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق
في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويوبده ونفخ في الصور لقيام الساعة
فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم
عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي تنظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم
وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا للذكر وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح
به وهولاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا
عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني
كما يحذف الخبر للقرينة اوسدان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة
وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او
خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب
ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او
لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا
دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على خبر المحذوف فانه جواب السوال او الجر على البدل او النصب على
الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران
او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت
اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون
ذلك مبتدأ والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم
عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله
البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها
حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد
به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره
لانه جنس متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود
مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا
للدلالة القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء
ومدد بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا

321

فالوا في كتابكم ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل
انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت
عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه
ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن
زهير قال لرسول الله عم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال
عم ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عم
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية
جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص
في الطاعة وعن النبي عم من قرا عند مضجعه قل انما انا
بشر مثلكم كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو
ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
وعنه عم من قرا سورة الكهف من اخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها
كلها كانت له نورا من الارض الى السماء
وقع الفراغ والتحرير بعون الله تعالى وحسن
توفيقه يوم الجمعة المباركة بعد صلوته
في عشر صفر الاوسط من [من الجزء الاول] انوار التنزيل
واسرار التاويل على يد العبد الضعيف
الفقير المذنب المعترف به الخادم
المحتاج الى رحمة ربه القوي الغني
احمد بن ابي غفر الله له ولوالديه
واحسن اليهما واليه ولجميع المسلمين
والمسلمات والمومنين والمومنات
برحمتك يا ارحم الراحمين سنة
سبع وعشرين وثمانمائة وصلى
الله على سيدنا محمد واله وصحبه
اجمعين

642